

تصدير

تعرضنا في تصدير العدد الماضي من مجلة « قصص » الى ما اعتبرناه مبررا لرفع سعر المجلة من ثلاثمائة مليم الى خمسمائة نتيجة حتمية للزيادة الاخيرة في سعر الورق التي تبعثها زيادة في التكاليف الاخرى جعلت ارباب الصناعات المطبعة يصلون بالزيادة الجمالية الى نسبة 20 % من سعر التكلفة . وهم - انصافا لهم - معذرون في ذلك لانهم غير مسؤولين عن ذلك الترفيع ضرورة ان تحديد الاسعار مسؤولية عنه الحكومة . وهي الحريصة على تطبيق سياسة التسعير الحرص الشديد المعزز بتسليط العقوبات المالية والبدينية. وذلك حرصا منها على حماية المستهلك من عسف التسعيرة العشوائية او الحرة . وهذا شيء محمود بلا شك . بل إننا نجد في سبيل تحديد سعر بعض المواد تكلف صندوق التعويض ملايين وملايين الدنانير سنويا في مقابل التعويض عن تخفيض أسعار بعض المواد المعتبرة مواد ضرورية . وهو اعتبار لا يخلو من نقاش . ويبقى الغذاء الثقافي دائما غير ضروري . وطالما وقعت المطالبة بان يأخذ صندوق التعويض موقفا ايجابيا إزاء الورق الثقافي وإعفاء مواد الطباعة من الاداء القمرقى او التخفيف منه على الأقل . ولكن تلك المطالبة لم تلق - لحد الآن - حسن القبول . وتبقى مشكلة التوازن بين الروح والمادة غير متوفرة تبعا لترسبات ما تزال تعانيها الشعوب المتنوعة بـ « المتخلفة » وهي من هذه الناحية متخلفة فعلا . الا يدعو الى التعجب والاستغراب عندما نرى صندوق التعويض يتحمل عديد الملايين من الدنانير من أجل الشاي والقهوة ولا يعير التفاتا للورق الثقافي وما يساعد على تيسير الثقافة .

إن النشر يعانى فى تونس الكثير . وإن سياسة النشر عندنا ما تزال فى أشد الحاجة الى معطيات تجعلها بحق تعمل فى سبيل المواطن على مختلف الميادين . فهل اذا كتب للجلس الاعلى للنشر الظهور الفعلى وقدم المقترحات ، والخطوط العامة لازالة العراقيل والواجز يجد الاذن الصاغية ، والفكر المقتنع ، والموقف العمل ؟! كم نرجو ذلك ؟ وكم نرجو الا يكون هذا التساؤل فى مال التساؤلات السابقة التى تذكر - عندما تذكر - بالخسرة والمرارة . فمتى تحصل بجانبها اللذة والحلاوة ؟!

قصص



الرقم والكينونة

« كان يحلمُ ألاَّ يقعَ ما وقع . لكنه كانَ يوقِنُ بأنه واقع لا محالة . هو يذكر كيف أنه كان «رقم 1» ثم أصبح «رقم 2» فلم يشعر بما شعر به عندما أصبح «رقم 3»

ونظر إلى خلفه وإذا هو تسلسل لماضي لا يعرفُ منه نقطة البداية . ونظرَ أمامه فقدّر أنه تسلسل لمستقبل لا يستطيع تحديدَ نهايته . وفي اللحظة التي كان يوازن فيها بين التسلسلين أحس بضياحٍ مُقرِّف ... إنه نقطة عبورٍ كَمَنَ كان قبله ، ومن يكون بعده ، فاحتار في الرقم الذي يضفيه على شخصه . ومادام لم يحدّد رقمه فلماذا يقومُ بهذا التعيين . إنه نقطة الماء في النهر تمشي مدفوعة دافعة لكنها لا تدري مقامها إلاّ بما تمرّ عليه من محسوسات . كانت تقيس التحديد بأشياء عابرة فيما يخيّل إليها . كانت تحسب تحرّكها تحرّكا للآخرين . لكن الآخرين كانوا يتحرّكون أيضا .

وعاد الى باطنه يعكسه على ظواهر الأشياء وأصرّ على أنه انتقل في ترقبهِ من واحد إلى ثلاثة فاستسلم إلى واقع من أمره يحسبه منطقة اطمئنان . وأخذ يقارن بين أرقامه .

قال له «رقم 1» : أتذكر عندما كنت لصقَ حياتك تشتم مني العبير ، وتمتصَ النخوة . كنت - اذ ذاك - لا يعنك من أمري إلا قدر ما تشتم وتمتص . وقيل لك يوما : إنها لحظات وهم فحسبته خلود فتوة ، وأبدية زهو فاستبأك الوهم لحظة لحظة وأنت سادر في غلوائك وفورتك .. لكتك تذكر - بلا شك - منعرجا نأى بك عن «الكتاب» إلى «المكتب» واختيارا زيتن لك مقعد المنضدة على جلسة الحصر ، وانعطافا إلى مجهول سراب خيل إليك أنه ظلال خصب ، وواحة اطمئنان. وما عثم كونك بعدها أن أصبحت «رقم 2» لم تحسن فيه العدة ، ولم تقدر الحساب. ومن يومئذ وأنت على نقيض فيما تبدي ، وفيما تعيد .. فيما تورد وفيما تصدّر . وجرفك التيار أخذا بالخاصرة وإذا أنت تمشي على قتاد ، وتنام على حسك . وهتف النظارة يغرونك على الدور بينما خشبة المسرح ينخرها السوس وتوشك أن تهوي ، وتسودها تهرئة كنت في بلاهة منها.

كانت عثرتك الأولى على مدرج حيك من خطوط الشفاق والمراوغة. وكانت عثرتك الثانية على مدرج أرقام صنعها مكر ودبجها غدر فأفقت ملسوعا ، واستيقظت مفجوعا . ولكن بعد الفوات .. ها هي ذى الورقة ينالها الاصفرار ، وينذرها السقوط فتجلدت وتحملت ، واستأنفت مسيرتك مأموما بأنفك دون اتعاض بما خلا من دهر . وجاهدت ما استطعت أن تبعد عن الورقة والاصفرار وأسعفتك إغفاءة من كرى البقطة فتابعت الخطوط حيثما دون التفات . وإذا «الرقم» .. يمثل أمامك كأشد ما يكون الوضوح صرخة ... إنه «رقم 3» محدودبا مشطورا فيما خيل إليك بصورته الأشبه بالتنين أو أشد فظاعة . ولم تشملك - ساعتها - لحظة ارتجاج وارْتجاف . لقد بدأ لك التنين من عاديّات الأشياء احتشوش بلابين البلايين من البشر فلا هو شبيح ، ولا تقص عدد البشر . بل كانت لحظتك لحظة تأمل عميق عميق انتهت بإتسامة استفهام عن حقيقة الأرقام «1 - 2 - 3»

وكثير من التوهم ، فدعك من ترقيس موهوم. فلست الأول ، ولا الثاني ولا الثالث.

إنك لست رقما أصلا في حساب دائرتك ... دائرة من ترعمون أنه السيد في الكون .. وما حسبتم إلا ما كان على طرف الثمام ... أمّا مجاهيل العمالقة ، والأقزام، واللامنظور ، واللامسموع فذلك شيء آخر لم تتخللوا كنهه بعد ... ويوم أن تدركوه فستعرف - أو سيعرفون - ما إذا كان لك رقم ...

وأمسك بيده ورقة ناصعة البياض. وجعل يتأملها فأحس بها ترتعش وترتعش. ثم أخذ بياضها يتموج ضبابا إلى أن بدا سحابة غائمة رقم عليها « 1 - 2 - 3 - 3 - 2 - 1 » ثم تجذبت الأرقام نقطة واحدة أخذت تتقلص شيئا فشيئا حتى تلاشت عدما محضا . وعادت الورقة إلى ناصع بياضها.

أمّا هو فظل يبحث عن الأرقام وأعياء البحث وأحس بانجذاب قوي إلى النوم فوضع الورقة فوق عينيه . واضطجع حيث كان مستسلما لنوم لم يستطع دفعه لكن لم يفته أن يردد :

« .. كان يحلم الآن يقع ما وقع . لكنه كان يوقن أنه واقع لا محالة. هو يذكر كيف أنه كان «رقم 1» ثم أصبح «رقم 2» فلم يشعر بما شعر به عندما أصبح «رقم 3».

محمد العروسي المطوي

الربط بين الحروف

فوجيء برسالتها وهو واقف في آخر الصف يستعد للدخول للفصل .. لم يكن يتوقع أن ترسل اليه ..! فقد خرجت من حياته ، ويشس منها ، ولم يبق له أمل في الظفر بها .. فما الذي حملها على الكتابة اليه ؟ وماذا تريد منه ؟ قلب الظفر بين يديه ، وهم بفتحه .. ثم حفظه في جيبه ...

الصف أمامه يتحرك .. التلاميذ يشرعون في الدخول للفصل .. أقدامهم تنتقل في حركة نشيطة .. وهو واقف قدامه ثابتتان .. تحتهما الحركة ؛ فيخطو بهما خطى ثقيلة ، ويلتفت كمن تدفعه قوى خفية من خلفه دفعا ..!

وفي آخر مقعد في الفصل وجد نفسه يجلس وحده ، ويفتح كتابه ثم يجيل النظر فيمن حوله ويده تعود الى جيبه ...

« .. لم أرسلت الى ..؟! أكون نادمة على موقفها الاخير ..؟! لا بد أن شيئا ما حملها على الكتابة الى ..! ثمة جديد ولا شك .. ولولاه لما أرسلت الى في مثل هذه الساعة ..؟! لا بد أن أقرأ الرسالة .. لا .. لا .. ليس الآن .. بل ينبغي أن أقرأها .. وليكن ما يكون ...! »

قال ذلك في نفسه والاستاذ يشرع في قراءة النص ، والتلاميذ ينحنون على كتبهم ، فانحنى على كتابه ويده تتحسس الظرف .. ثم تخرجه من جيبه وتدسه بين صفحات الكتاب ...

الاستاذ يواصل قراءة النص .. صوته يسافر الى بعيد .. يخفت .. الحروف تركض على الصفحة ركضا .. الظرف يطل من بين صفحات الكتاب .

أصابعه تستل الظرف .. تفتحه .. تخرج منه ورقة مطوية بداخلها بطاقة بريدية .. نظر الى الصورة المرسومة عليها ، وابتمس . ثم بسط الرسالة على الكتاب ، وغرق في الصورة ...

واقفة .. فى عينيها اغراء .. تبتسم ابتسامة مشرقة .. تضع يدها على غصن شجرة برتقال .. تبرز مفاتها فى ثياب زرقاء ، تلتصق بجسمها التصاقا . يطوق خصرها حزام أبيض ، تتدل منه سلسلة بطرفها حلقة كرقاص ساعة حائطية ...

يتركز نظره فى الحلقة ... :

الرقاص يتحرك .. يبت الحياة فى الساعة ، فتدق دقات منتظمة ، يتردد صداها فى صدره .. الاستاذ يدق دقات خفيفة على مكتبه .. الرقاص يهتز فى نشوة .. والساعة تزعو برقصه .. ثم تتوقف فجأة .. يخنق صوتها ..

— اقرأ !..

صوت الاستاذ يصغم أذنيه ، ويتردد صداها فى أرجاء الفصل ، فينتفض مذعورا !.. ويرتفع صوت أحد التلاميذ بالقراءة فيهدأ روعه .. ثم تلتصق عيناه بالرسالة ، تركان أحرفها : فتهمس فى أذنيه همسا .. :

« .. اقرأ .. لا تتعجل الفهم ، ليس مهما أن تفهم .. المهم أن تتأمل .. أن تحدد شكل الحروف ، وسر ارتباطها .. انها كما ترى واضحة ، بارزة . سوف لا تحتاج الى وقت طويل لتفهم .. اعرف أن الوقت عندك حصان جامح لا يعرف الاستقرار .. يرهقك بصهيله وهيجانه .. لا يترك لك الفرصة لركوبه.. فتظل تجرى .. وتجرى .. ومن حولك يجرى كل شيء .. وعينك مفتوحتان ، ترى بهما ولا تفقه . وتبلغك الاصوات فتسمعها ولا تعى .

هذه الحروف تبرز أمامك فى ثياب زرقاء ماذا تخبىء فى أعماقها ؟ ما الذى يربط بين أجزائها ؟. ليس عسيرا أن تدرك الجواب ، ان أنت نسيت جوادك الجامح ، وتأملت .. نعم . تأملها جيدا .. ، وسوف ترى كيف يصبح الجزء كلا متكاملا ، يضيف للوجود معنى جديدا .. ليتك تستطيع ان تخرج من نفسك قليلا ، وتنظر الى الكائنات !.. إنى أؤكد لك — إن استطعت على ذلك فى يوم ما — ستدرك ما الذى تخبئه الحروف فى أعماقها.. وتصبح انسانا آخر..!

تنشغل بالحرف دائما .. تتشبث به .. تدعوني .. فاكتم غيظي .. وتمتد يدك الى أحد حروفي البارزة .. تمسكه .. تحجب أجزاءه .. فاستوقفك . وأدعوك الى قراءته فلا تقرا . وألح عليك .. ، فتنطق به محرفا وتطمس مدلوله !..

لا يذهبن بك الظن بعيدا .. أنا لا أدعى العصمة ولا أوهمك بأن حروفي من طينة لم تخلق بعد ، بل فيها ما فى غيرها من الدفء ، والحرارة ، والثورة ، والجنون ،،، فيها ضما لقطرة من مطر .. وسماؤك ظلما . وعودك قاصفة . وبرقك خلب .. ليس به مطر !..

لم أزل أذكر حديثك المضحك المبكى .. حديثك عن تلك الفتاة التى أحبت وعلم الناس بحبها .. ولما ظهرت اليهم صديقة حبيبتها ، تهامسوا .. ودسوا أنوفهم بينهما . وتكاثرت الأنوف ، وتراكت .. ولكن المسافة لم تتسع بين الحبيبتين ، فنسيهما الناس ولم تنس !.. لم تشعر .. وأنى لك أن تشعر بأن الحب ليس طعاما نأكله .. الحب جوع مستمر .. يقتله النهم .

أتذكر شجرة البرتقال ؟ أتذكر يوم أن قطفت منها برتقالة ؟ فى تلك اللحظة هممت أن أعبر لك عن أشياء أوحى لى بها تلك الشجرة .. ووددت أن أرفعك الى عالمى لتشاطرنى نفس الاحساس الذى كان يغمرنى !.. فوجدتك تحصر همك فى البرتقالة ، وتقشرها بلهفة !.. كنت أراها بين يديك كلاً متكاملاً وكنت ترى الكل جزءا .. وهممت بالانصراف فتعلقت بى ، تشدنى اليك باصرار .. وتنكمش .. كل جزء من أجزائك يرتعش .. يود أن يحشر حشرا فى دائرة الحرف !.. ثم تضمنى اليك وتسكن ، وتموت كل حركة فى علمك والوحش يصرخ بأعماقك .. والجفاف يخلق منابع الدفء فى حروفي .. فتحركت وانتفضت حروفي لتخرج .. ، فسقطت .. واشتد غيظي ؛ فمشيت .. وابتعدت لاحجب عنك كل حرف من حروفي !

وظللت أمشى وحدى .. فأحسست بالاطمئنان على حروفي .. أحرکها كما أشاء ، فانتشى بحركاتها الرشيقة الخفيفة ، وأسعد بها وهى تنسجم فى احتفال رائع ، يرسم للوجود لوحة غنية بالحياة ، زاخرة بالخلق والابداع . كنت أحسب أننى نجوت !.. فاذا أنت خلفى تسعى وتصيح .. :

« .. انتظري .. ! انتظري .. ! »

فاتسمعت خطواتي وصوتك يختنق ...!

وفى الطريق مررت ببائع البطاقات البريدية ، فاخترت لك هذه البطاقة ،
التي تجسم رغبتك .. فاحتفظ بها ، عليها تلهمك احساس الفنان ، فترسمها ،
أو تنحتها .. وليس غريبا أن تدرك سر ارتباط أجزائها وأنت تخلقها خلقا
جديدا !

العفو يا صغيري ..! اغفر لى هذا العبث . لقد فتحت لك صدرى الى أبعد
حد .. على أمل أن أجعل منك انسانا حرا ، يعرف كيف يتحرر من غرائزه ،
ففشلت ، لقد كنت مخطئة ، فاغفر لى .. واصفح عني ، وانس أنك عرفت امرأة
مذبذبة ..»

وشعر بالصمت يسود الفصل ، فرفع رأسه . فإذا بالاستاذ واقف خلفه ..
يتابع قراءة الرسالة ، فانتفض مدعورا ، وضحك التلاميذ ..!

وامتدت يد الاستاذ تمسك بالرسالة والبطاقة ، وتأمرة بمغادرة الفصل !

وقبل ان يغلق الباب خلفه ، لاحقه صوت الاستاذ :

- سوف لن تجد مكانك فى الفصل ، قبل أن تحسن الربط بين الحروف %

عبد العزيز فاخت

زمن المواسم اليومية

زمن الطحالب الشتائية

يسألني ابني : « أبى ... ماذا فعلت عندما ذهبت الى الحرب ؟ ... » .
 واجدني غير قادر على الحديث عن الاشياء التي يفعلها الانسن عندما يذهب
 الى الحرب لذلك احدث ابني عن تلك السنوات التي كانت فيها الحواجز تقوم
 بين احياء المدينة .. عندها كان الجنود يقفون بأقنعتهم الواقية من المطر ومن
 الغازات وبأيديهم الرشاشات . كانوا يقفون عند مفترق الطرق . عندما ياتي
 احد سكان المدينة الى ذلك الحد من طريقه ويكون يدرك ان الوقوف عند
 مفترق الطرق يجلب له المتاعب ، ويكون يدرك ان الطريق الذي يختاره قد
 يقوده الى مكان ما في المدينة غير منزله بكل تلك الحواجز التي توجه حركة
 الاشخاص في تعرجات الازقة .. كل ذلك كان يغلف وجوه المارة بطبقة من
 العرق تتكاثف تحت برد الشتاء ؟ ويبقى الجنود هناك الى ان يبللهم المطر والى
 أن تصدأ خوذاتهم النحاسية وتتسرب الطحالب الى اكثافهم لكي تبدو اكثر
 خضرة فوق ستراتهم العسكرية الخضراء . ويكون الجنود يدخنون كثيرا
 ويطلقون حلقات الدخان في الفضاء ، ويلقون بأعقاب سجائرهم على وجوه
 المارة ويتجاهلون طول الوقوف .. وفي النهاية يتوقف الجنود عن الحركة لان
 برد الشتاء يجمد اطرافهم .. ثم ينسى الجنود لماذا يقفون هناك .. ثم ينسى
 سكان المدينة ذلك الخوف الذي كان يتنامى في أعماقهم ويتجاسر البعض على
 التباطىء عند مرورهم أمام الجنود .. ويتجاسر البعض على الوقوف عند مفترق
 الطرق للتفكير في الطريق الذي قد يكون اقصر من غيره .. ويتجاسر البعض

على رفع أنظارهم الى مستوى تارك الرشاشات التي تغطيها الطحالب... ويحدث بعد مدة أن يتوقف أحد المارة لكي ينظر الى المخاط الاصفر وهو يسيل من أنف أحد أولئك الجنود الذين يسرح الزجاج في أعماق نظراتهم .. ثم يتوقف آخر لكي يتحدث الاثنان عن برد الشتاء الذي يهجم على المدينة بهذا الشكل منذ عدة أجيال ثم يمد أحدهما يده الى جيبه يبحث عن سجاريه .. ثم يقدم سيجارة الى الرجل الواقف الى جانبه ... ثم يتوقف مارة آخرون في شوارع أخرى عند مفترق طرق أخرى يشعلون السجائر ويتحدثون عن البرد وينظرون الى الجنود الذين اسندوا رشاشاتهم الى السيارات العسكرية واضعين ايديهم في جيوبهم يبحثون لها عن الدفء وقد يحدث ان يتحدث الجنود فيما بينهم.. وقد يحدث ان يستند المارة الى تلك الحواجز التي تفصل احياء المدينة عن بعضها دون ان ينبعث صوت الجرس القوي كما كان ذلك يحدث من قبل ...

في مكان ما من هذه المدينة .. في ساحة ها منها .. في راس رجل ما تنبت فكرة .. ثم تتحرك الفكرة .. ثم تتجسم كلمات .. ثم ينفخ الرجل دخان سيجارته بعد أن ينظر في حذر الى الرشاشات التي تعلوها الطحالب ثم يقول الرجل : « هذا شتاؤك طحليها يا تونس .. ! » ثم يمد كل من الرجلين يده لكي يصافح الآخر ثم يتحرك كل منهما في الاتجاه الذي اختاره .. ويربت جندي على كتف رفيقه لكي ينفض عنه تلك الطحالب التي امتدت الى رقبته ويعلق على هندام رفيقه ويقهقه الآخر ويقول له : ان التفتيش الموالي لن يكون قبل حالته على المعاش ..

يسألني ابني : « ابي ماذا فعلت عندما ذهبت الى الجندية للمرة الاولى ؟... » أجدني أحفر في أعماق ذاكرتي لكي أجد شيئا يشغل ابني : أحده عن تلك البنادق الصدئة التي تعرض على صدور الضباط .. وعن « الفاميلة » ذلك الرفيق الذي نضع فيه الحساء ثم نبصق فيه من الحنق ثم نشرب منه دموع القهر .. وفي النهاية نضرب رؤوسنا لانها اقل صلابة مما يجب ... ويجد ابني أن كل هذه الاشياء تنقصها الاثارة لذلك فهو يريد ان يحدثه عن الرشاشات المتعددة الطلقات وعن المدافع التي تضيء الليل ، وعن الطائرات التي تتحرك كالذباب لكي تصطدم ببعضها .. اكتشف أنني في حاجة الى تجديد الهواء في رنتي ، وتجديد الافكار في جمجمتي .. امسك ابني من يده وتنطلق لكي نتجول في المدينة .. تكون تلك الفرصة لا تعوض لكي يفتح ابني عينيه على

اتساعها .. يقول ان هذا التقسيط الذى يفرضونه على أشعة الشمس قد ينتهى بنا فى يوم ما الى تمييز الاشياء فى الظلام كما تفعل ذلك القطط .. تكون فرصة عظيمة ان نحول فى تلك الشوارع التى تنفذ اليها أشعة الشمس دون ان يضعوا فى طريقها مصفاة زجاجية .. يمسكنى ابنى من يدي لكى نتوقف طويلا امام واجهة تعرض رشاشات البلاستيك ودبابات القصدير والوسمة الورقية .. يبقى الصبى واقفا ينظر الى الواجهة الى ان يتسرب الحذر الى ركبتي .. عندما أسأله الانصراف يطالبني بأن أمهله نصف ساعة أخرى لانه يريد ان يتأمل رشاشات البلاستيك كما يجب .. أشير الى الجندي الواقف فى نهاية الشارع .. يكون الجندي يعضغ الشوينقوم وينصت الى صوت الاسطوانة المنبعث من المغارة المجاورة .. لا يتحرك الصبى الا عندما يأتي صاحب الواجهة لكى ينزل الستار الحديدى الى مستوى الرصيف .. ننطلق مسرعين، لان وقت اغلاق الحواجز التى تفصل أحياء المدينة عن بعضها قد اقترب . عندما تدخل المنزل يقفز ابنى حولى مرات قبل ان أعده بالعودة مرة أخرى للتأمل فى محتويات الواجهة . اتنفس لاهثا ويستولى التششب على ركبتي . اكتشف ان الهواء لم يتغير فى رثتي منذ مدة .. اجد أفكارى تدور فى جمجمتى ...

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ذم الرياح الخريفية

يسألنى ابنى : « أبى ماذا فعلت عندما جندت للخدمة الوطنية ؟ ... » ويكون ابنى يدرك انى أهوى الحديث عن تلك الفترة من حياتى ، لانها تثير فى أفكارى ذكريات اعزّز بها . ويكون قد اعتاد أن يسألنى ذلك السؤال عند عودتنا بعد أن نكون قد وقفنا معا نتأمل الواجهات التى تعرض رشاشات البلاستيك والوسمة الورقية ..

أحدثه عن تلك المجموعة من الشبان التى كناها بأفكارنا التى اختزنتم ايدولوجيات وكوكا كولا ، وعن تلك الدمايل الصغيرة التى كانت تزين وجوهنا ، لان وجوهنا لم تكن قد اعتادت شفرات الحلاقة المحلية وعن تبغ المقاهى الذى تبقى رائحته عالقة بالانسان حتى بعد تغسيله .. وكانت تلك الرائحة قد بقيت عالقة بجذور شعرنا حتى بعد ان قصت شعورنا قصيرة جدا . كذلك كنا نقف امام الرفش والمجرفة وكثبان الرمال التى تزحف على الواحات

من حولنا لكى ننفخ صدورنا باعتزاز ونتصور أن كل عدسات تلفزات العالم تتجه الينا لكى تنقل للملايين شعورنا بأن أفكارنا ليست مجرد قطع غيار نستوردها لمواقع العطب فى وضعنا ... ثم كان أن امتزج عرقنا بالرمال ... ثم كان أن امتدت الحواجز التى نقيمها لكى تفصل كئيبان الرمال عن الواحة .. ثم اكتشفنا أن الرياح الخريفية تهب وتهب قوية جدا ، وتهب لكى تعمى أعيننا ، وتهب لكى تضع طعم الرمل على صفحة لسان كل منا ولكى تقيبنا الى الحزام وسط الكئيبان الجديدة التى انزعت من حولنا .. وبقينا فى ذلك الوضع ننظر الى بعضنا ولا نقدر على الحركة . وكان مخجلا أن نبقى كذلك . وكان أحدنا قد بصق مرات متتالية قبل أن يتوصل الى أن يقول :

ـ كان يمكنهم على الاقل ان يحدثونا عن هذه الرياح الخريفية !.. الكلاب .. يضحكون على حسابنا لمجرد أننا نعرق من أجلمهم ...

قال آخر :

ـ من المؤسف أن تكون الحواجز التى رفعناها قبل اختفت تحت الرمال التى عادت تزحف على الواحة من جديد ..
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قال كل منا ما كان يجول فى أفكاره ؛ لان ذلك ينسبه طعم الرمال التى على صفحة لسانه . بقى الجميع يتابعون بصاقهم وهو يتدحرج على صفحة الرمال .

بعد أن ينام ابنى على ركبتي أتنفس بارتياح لانى أستطيع فى النهاية أن أصمت دون أن يطالبني بمواصلة الحديث. تحول زوجتي ابرة المذياع الى محطة خارجية ثم تسكت فى النهاية وتشرع فى الحديث عن متاعب يومها. تتحدث عن اللحم المجمد الذى يباع بالتقسيط فى شكل مكعبات صغيرة كما يباع الصابون والسكر . تتحدث عن نبات البطاطا التى زرعتها فى الشرفة بعد أن اختفت البطاطا من السوق وكيف أنها قد وضعتها فى قوارير زجاجية لكى تتمكن من متابعة نمو حباتها اذ ان ذلك وحده كان لاسالة اللعاب فى حلقها ... وتتحدث زوجتي عن فاتورة الشمس التى كلفتها ثلث الميزانية لمجرد ان النافذة الوحيدة التى نفتحتها على الحديقة العمومية تمتص من الاشعة ما يستهلكه بقية سكان

الحى ... واكون فى حاجة الى أن اقنعها أننا اذا كنا نسمح لانفسنا بمثل هذا الاسراف من الشمس فلكى نوفر للصبي حاجته من النمو المتوازن اذ لا يعقل أن ينمو بعضلات وعظام معوجة لمجرد أننا لا نسمح لانفسنا بالنقشف فى المصاريف الاخرى ... قالت زوجتى : انها قد دفعت أيضا اشتراكنا السنوى لمجموعة الجرائد التى نستعملها للتدفئة... كانت فى حاجة الى أن تضيف كما يحدث ذلك فى كل مرة ، لو أمكن على الأقل أن نلغى هذه الاشتراكات لتمكنا من توفير حاجة الصبي من الاشعة ... ثم تنهدت لانها تدرك أننا لا نستطيع الاستغناء عن تلك الجرائد ما دام كل سكان المدينة مجبرين على الاشتراك فيها .. وتنهدت أنا أيضا لأنى كنت أدرك أنه لا يمكننا الاستغناء عن تلك الجرائد لان قصاصاتها ضرورية للتنقل من حى الى آخر... وتحدثت زوجتى الى أن فتحت عينى لكى أجدما تقول : أن غطيطى قد ارتفع منذ حين . لذلك يكون من الافضل ان أتحول الى فراشى ...

زمن الخلاعة الصيفية

يسألنى ابنى : « أبى ماذا فعلت عندما انضمت الى الشبيبة الحزبية ؟ » .
 يكون ابنى يدرك انى أهوى الحديث عن تلك المرحلة من حياتى وانى امتلئ اعترازا عندما اشعر فى الحديث عن مرحلة المخيمات الصيفية تلك التى تمتد فى حياتنا من بداية العطلة الصيفية الى نهايتها ونكون باعيننا الممتلئة سهرا وببقايا الحمامات الليلية فى عظامنا ننشد الاناشيد التى قد لا تعنى بالنسبة لأغلبنا الا حركة اللسان .. يكون من هناك من يتناسى دائما امتحانات التدارك التى فى نهاية العطلة وهناك من تتجمع حوله التعاليق والضحكات لانه يتصور نفسه فى حاجة الى الانعزال عن الآخرين لكى ينشد رجولته فى عينى رفيقته... نكون ناكل كثيرا ونسهر كثيرا ونحترق طويلا ونتصور ان الحياة اندفاع وان الشبيبة حزب ومن خلال كل ذلك كان يجب ان نضع طويلا الكلمات المهترئة لكى نفرزها كما تلقيناها من الذين فتحوا اعيننا على الطريق التى تقود الى الحزب وكان يجب ان نمضغ تلك الكلمات المهترئة قبل ان نجد من يفتح لكى يتلقاها من افواهنا مختلطة متدافعة تعنى ان الحزب تجسيم للشباب وتعنى المثل وتعنى استعجال المواقيت .

تتحرك بنا الحافلات فى اتجاه التعاضديات الفلاحية وتكون الجرائد تتحدث عن سواعد الشباب التى تنضج خبزا تحت اشعة الشمس ونكون هناك

بنظاراتنا الشمسية وعدسات التصوير نترشف الكوكا كولا التي يأمر بها مدير التعاضدية ونسجل الارقام التصاعدية عن الانتاج والانتاجية .. وعندما تتجه عدسات التلغزة الى وجوهنا نكون فى مكاتب مكيفة أو بين آلات الحصاد التي اعيد تلميعها للمناسبة ونمسك أقلامنا وندون ملاحظاتنا وتتوالى اقتراحاتنا على الورق .. وللفكاهة فقط نقول احدى الرفيقات انها تقترح وضع نظارات شمسية للبقر للزيادة فى انتاج الحليب .. ونكون قد سودنا الصفحات لأجل أن يأتى المسؤول ويحول كل ذلك الى واقع فى اختيارات الحزب .

... يأتى المسؤول ونكون ببقية حبر السنة الدراسية على نهاية أصابعنا وتكون شواربنا قد بدأت تخضر ودخان السجائر يتصاعد أمام أعيننا وملامحنا ترسم مرحلة التوثب .. يتحدث المسؤول عن كل ما سنرسمه وكل ما سنقترحه وكيف ان ذلك سيكون دعامة سياسة البلاد فى انطلاقتها الكبرى .. تمتلىء صدورنا اعتزازا واستعدادا لتحمل ثقل الانطلاقة التي هى فى حاجة الى دعائم مثلنا . يؤكد المسؤول ان نظرتنا الحزينة وحاسنا الشاب يمكن ان يصنعا المعجزة وهو ما سيسمح لنا بأن ننفذ الى عمق الاشياء نحن احفاد هذا الشعب الذى لم ينجب الا المباشرة .. عندما ينقطع الريق فوق صفحة لسان المسؤول ويمد يده لى يتناول كأس الماء الذى اعد للمناسبة تتحرك ايدينا بالتصفيق ونكون نصفق كما تعلمنا ذلك يدا واحدة ... نفرق بعد ذلك فى طوفان من اللوازم المدرسية كما لم يحدث ذلك فى حياة اى منا اثناء فترته الدراسية .

تتجمع ملاحظاتنا واقتراحاتنا اعمدة من الورق وتتجه انظارنا دائما الى الطريق الذى تاتى منه سيادة المسؤول الحزبى ونكون نتصوره انه سيجلب معه جرارا لى ينقل كل تلك الاعمدة من الورق ونكون نتصور انه سيكون فى حاجة الى جيش من الكتبة لى يقع تمحيص كل تلك الاعمدة من الورق .

... عندما نتصور كل المخيمات الاخرى التي تضم حناجر اخرى وأيدي اخرى واعمة اخرى من الورق نتصور ان البلاد ستنهض على اعمدة من الورق لى تكون انطلاقاتها الكبرى

... جاءت احدى الرفيقات لى تؤكد ان الاختلاط ضرورة عصرية وعقلية حضارية .. وفى حمام منتصف الليل لتلك الليلة فهمنا كم تصبح الكلمات فى

حاجة الى الاختزال عندما يدرك الانسان ان الكلمات كانت مرحلة ضائعة فى حياة الانسان .. قد تكون عظامنا امتصت برد الشاطئ، طويلا تلك الليلة قبل ان تجفغنا شمس الصباح بوجوهنا الشاحبة وشفاهنا المتورمة وقد نكون كبرنا مراحل فى تلك الليلة ولكن عندما يستيقظ الانسان على نهاية مراقبته فان ما يحدث هو انه يفتح عينيه كأنه لم ينظر بهما من قبل لكى يحص كل ما فى واقعه من وجهة نظر مغايرة وكان جميلا ان تضمن لنا الشبيبة زمن الصيفية وكان جميلا ان نشعر ان اجساد الرفيقات تخدم القضية وتحملنا الحافلات لكى نتعرف على معامل المصبرات وصقل الرخام ونصور مداخن تكرير النفط ومعامل الاسمنت . وتتحول الحفلات عند رجوعها فى ظلام الليل الى مداخن لعواطفنا وتجد حناجرنا فى كلمات الاناشيد والاغاني الشعبية فضاء لحركتها وتحدث الجرائد عن الشباب الذى هو تجسيم للانطلاقة العملاقة .. وتأتى نهاية العطلة الصيفية ويكون منا من شرع فى الحديث عن امتحانات التدارك ونقف فوق اعمدة الورق التى جبرناها فى انتظار سيارة المسؤول الحزبى ...

... ويأتى المسؤول الحزبى ويأتى غيره وتأتى عدسات التلفزة ويتحدث كل منهم الى ان يحف ريقه على صفحة لسانه ويستنجد بكاس الماء التى اعدت للمناسبة وتصفق ايدينا بدا واحدة وتعرض وجوهنا لعدسات التلفزة سمراء صيفية بشوارب سوداء .. ثم ينطلق الجميع كما جاؤوا ويكون المسؤول الحزبى قد اكد ان كل اقتراحاتنا وملاحظاتنا التى شاركنا بها فى الحوار هى اساس للانطلاقة الكبرى .. ونبقى هناك فوق اعمدة الورق التى جبرناها ننظر الى بعضنا فى تساؤل وفى النهاية ينفجر احدنا قهقهة لانه ادرك سر النكتة قبل غيره ونقهقه بعد ذلك جميعا ... وفى تلك الليلة الاخيرة للمخيم تتاجج النار الى ان تشرق عليها وعلينا شمس الصباح وتناسف لاننا لم ندرك من قبل ان اعمدة الورق تطرد صقيع الليل من عظامنا بشكل جيد وتناسف ايضا لاننا سنفترق .. وعندما تفرقنا الطرق تجمعنا فقط ابتسامتنا الملطخة بالمجبر على صفحات الجرائد ..

ويسالنى ابنى لماذا لا تكبر تلك الصورة ونضعها فى اطار وراء الزجاج . اطمئه بانى سافعل ذلك عندما نتوصل الى توفير ثمن الزجاج والاطار .

تضع زوجتى قصعة الغسيل الكبيرة فى المطبخ ويكون ابنى قد استعد لحمام القيلولة تقول زوجتى ان ترهل جسدى لا يمكن معالجته الا باستعمال الدلو المعلق الى جراحة البثر . يمسك ابنى سطله الصغير ويسبقنى الى البثر .. يتواصل صرير البكرة تحت ثقل الدلو الى ان تشارف القيلولة على الانتهاء ...

يسالنى ابنى ان احده عن الزمن الذى كانت فيه الشواطىء وحشية مثل الادغال لان السائح الابيض لم يكن قد وضع عليها قدميه بعد . احده عن عهد شواطىء الرمال الذهبية والامواج الزرقاء الفاترة وبقبقتنا تحت الماء الى ان تحمر أعيننا وتنقطع أنفاسنا . يغطس ابنى فى جوف قصعة الصابون وتصيح زوجتى انها ستترك لى مهمة تنشيف الماء من فوق البلاط . يسالنى ابنى ان احده عن رمل الشاطىء كيف كان ذهبيا . يفتح فمه دهشة عندما يدرك ان الشواطىء لم تكن فى يوم ما مبلطة كما هى اليوم . اصنع له سفنا ورقية تدور طويلا فى قصعة الغسيل ثم تقرب القصعة من الشرفة لكى تتخيل حضور الشمس .. اجلب القارورة التى نحتفظ فيها بحفنة من رمل الشاطىء الذهبى الذى اصبح نادرا اليوم . اكون قد تحدثت طويلا عن الشواطىء التى كانت تحفظ اثار اقدامنا اياما بعد انصرافنا عنها . يقول ابنى ان ذلك لا يصدق اليوم مبلطة تماما وتنتشر على طولها النزل واجساد السياح البرنزية . اكون قد بدأت اغرق وسط العرق الذى بدأ يطفر على ثيابى .. اشرع فى التخلص من ثيابى لكى ادخل القصعة معه ... اوصل حديثى عن يائعى المبردات وعن القطارات التى ترتحل فى نهاية اليوم باجسادنا المتراصة التى تفرز الملح وتعكس ارهاق نهاية الاسبوع ... اتفطن الى ان الصغير قد استسلم الى النوم على حافة قصعة الغسيل .

تقول زوجتى انه لو كنت اتقن مهنة اخرى غير بيع الكلمات فى مدرج ما لا مكنتنا ان نوفر ثمن نهاية اسبوع على الشاطىء . اسالها ماذا يمكن ان يعنى الشاطىء الان بكل تلك الارصفة الاسمنتية التى لم تزحف عليها الباحات الحلقية للنزل . تقول زوجتى ان ذلك افضل من ان يسمح الانسان فى عرقه طوال اليوم . اجذبها من ساقتها واقول لها ان افضل ما تفعله هو ان تدخل قصعة الغسيل معى ما دام فيها متسع لكل افراد العائلة .

زمن الزهور الشوكية

يسالنى ابنى ان احده عن طفولتى فى تلك القرية الجبلية التى تنزل منها جدته والدتى مرة فى السنة لكى تفتح انوفنا على رائحة التين الشوكي . احده

عن تلك المدرسة التي تطل على القرية من فوق هضبة ما . وتكون القرية بجدرانها البيضاء الهندسية وبالطريق الضيقة المتعرجة التي تصعد اليها تحمل بصمات اقدمنا التي لم تكن قد عرفت الجوارب بعد لان المعلم لم يكن قد رسم اسمها على السبورة بعد . احده عن تلك الرياح الغربية التي كانت قد طبعت اطرافنا وملامحنا وتكون المدرسة تعني بالنسبة اليها نظارات المعلم الذي يريدنا دائما احمره لان جماجمنا لا تحوى شيئا اخر غير ذلك الصخر الذي قامت عليه المدرسة وتعني ايضا نبات التين الشوكي الذي يترك اشواكه على اطرافنا عندما نكون نبحث عن طريق العودة الى القرية في ظلام المساء .. وتكون المدرسة تعني ايضا قطعة الجبن الاحمر المستطيلة الرقيقة القوية الرائحة التي تضاف الى الرغيف الذي يناله كل منا ... يكون المعلم يؤكد اننا احمره لكي نكون نفضل الانطلاق وراء العنيزات التي كانت تتسابق في الوصول الى الجبل ونترك فرصة التعلم هذه تفوتنا لكي نكتشف ذات يوم اقنا اصبحنا مثل آباؤنا مجرد سوائم يغيبون في المدينة سنوات لكي ينكرهم ابناءؤهم عندما يعودون لان فترة غيابهم قد مسحت ذكراهم . تكون القرية تعني بالنسبة اليها ذلك العالم الذي يتقلص عندما يفتح المعلم كتابه لكي يتحدث عن السفن الشراعية التي تغلفها السحب وعن السيارات التي تتطلق على طرق مثل الزجاج ... وكما نكون نؤمن بالخرافات التي نتحدث عن على ولد السلطان نكون نحاول ان نؤمن بما يتحدث عنه المعلم رغم اننا ندرك ان تلك الخرافات لم تصنع من اجلنا لذلك كانت ذات اهمية باهتة ولاجل ذلك كان المعلم يبدو حمارا ما دام لم يتفطن الى ان التين الشوكي في قريتنا لا يزرع في الاواني الفخارية لاننا هناك لم نعتد ان نرى التين الشوكي يزهر في الباحات الامامية للمنازل ... ويكون المعلم يريد من النبتة التي زرعها في الساحة الامامية للمدرسة ان تزهر لذلك كان يكلفنا بجلب الماء اليها بالتناوب .

وفي القرية كانت السحب الخريفية تمر كل يوم وتمر عالية وينظر اليها اولئك الذين اودعوا حبوبهم الارض وتنبج الكلاب ولكن السحب تمر عالية لكي تنتهي الى ذلك الجبل الذي يسد الافق .. وعندما تمر السحب ويصادف ان يرفع الكبار انظارهم اليها ثم ينظرون الى الجبل فقد يصادف ان يغزو الحزن اعينهم ونكون نحن الصغار ندرك ان الرياح الخريفية التي تملأ واقعا بالغبار تسوق السحب في اتجاه الجبل وذلك يعني ان الخريف لن يكون ممطرا يكون كتاب المعلم يتحدث عن الدخان المتصاعد من مداخل المنازل وعن

الفلاح الذى يشق الارض عميقا وعن الزرع الذى يخضر على صفحات الكتاب وفوق شفاه المعلم ولكن كل ذلك لم يتجاوز فضاء القسم الى واقعنا لذلك كنا نتبع العنيزات فى طريقها الى الجبل لكى نبحث عن الجذور العلكية ثم نبصق بقاياها على الصخور لان احدا وجد شبيها كبيرا بين معلمنا والتيس الذى كان يتقدم العنيزات ... ويكون واقعنا يعنى ان لكل منا قارورة تحمل رسم المشروبات الغازية وان تلك القارورة تمتلئ مرة فى الاسبوع ماء لكى ينتهى الماء الى اصل النبتة التى كانت تتوسط الساحة الامامية للمدرسة وفى افكار كل منا كان المعلم حمارا بشكل من الاشكال لكى يتصور ان التين الشوكى يمكن ان يزهر فى الخريف ويمكن ان يزهر على وجه الخصوص فى الاوانى الفخارية . وفى القرية كان الجميع يعرف دون ان يكون فى حاجة الى ان يتعلم ذلك فى المدرسة ان التين الشوكى ينبت فى اى مكان وان التين الشوكى يلقى على قارعة الطريق او اى مكان اخر ولكنه يتوصل دائما الى ان يمد جذوره عميقا فى الارض . وعندما يمد التين الشوكى جذوره ببطء وفى اصرار فهو يتوصل دائما الى ان يزهر . وكما تحدثت القرية وفهقه الجميع عندما علموا ان المعلم يريد ان يزهر التين الشوكى فى الساحة الامامية للمدرسة ... وتكون القرية قد فقدت حاجتها الى الفقهية بعد ان هرت كل السحب الخريفية عالية لكى تنتهى الى الجبل وبدات القرية تنظر بعين حائرة الى ماء الخزانات الاسمنتية وهو يتناقص . ثم ياتى المعلم بعد ذلك لكى يتحدث عن مدينته الساحلية بسفنها الشراعية وسياراتها البراقية ويطلبنا بان نجلب بالتناوب قواريرنا لكى نهرقها عند اصل تلك النبتة التى تنصدر الساحة الامامية للمدرسة .. ويأتى بعد ذلك من يقول ان المعلم على درجة من الصفاقة لكى يلج على انفسا نضيع فرصة العمر بركضنا وراء العنيزات فى طريقها الى اعلى الجبل ويكون كتاب المعلم لا يتحدث عن اعشاش الطيور البرية وعن جذور النباتات العلكية التى يحويها الجبل .. وتمر الرياح الحريفية لكى تزدري الغبار على قاع الخزانات الاسمنتية وتترك مكانها للرياح الغربية .. وتكون القرية قد اندركت ان فرصة السحب الخريفية قد فانت وان البذور التى غطتها الرمال لن تخضر هذه المرة ايضا الا على صفحات كتاب المعلم ويزداد المعلم تشددا مع اولئك الذين يتبعون العنيزات فى طريقها الى اعلى الجبل لذلك يتضاعف عدد القوارير التى يجب ان نحملها على الطريق المتعرجة الضيقة التى تنتهى الى المدرسة وتضاعف الرياح الغربية من اثرها على اصابعنا تلك التى تبقى متشبثة بعنق القارورة التى تحمل رسم المشروبات الغازية .. وعلى صخور الطريق التى تؤدى الى

المدرسة نضع قواريرنا بكثير من العناية لكي لا تنكسر وننفخ طويلا في اصابعنا التي جمدها برد الرياح الغربية .. وتبقى تلك النبتة التي تتوسط باحة المدرسة خضراء مصفرة تهتز تحت صفحات الرياح الغربية حتى بعد ان اصبحت قواريرنا تصب في الخزان المعدني الذي ينتهي بحنفية تفتح في مطبخ منزل المعلم .

... قد تكون جماجمنا تحوي قطعا من تلك الصخور التي امتدت عليها الطريق التي تقود الى المدرسة ولكن رغم ذلك نكون نحاول ان نركز افكارنا على تلك الكلمات التي يرسمها المعلم على السبورة ويكون مناسباً ان يضع احدا يديه تحت ابطيه لكي يبحث عن بقايا من الدفء ولكن هناك قريبا جدا من البلاط حيث اقدامنا التي لم تعرف الجوارب بعد يكون من الصعب ان نركز افكارنا على غير البرد ويكون المعلم يتحدث عن تلك الانهار التي تصب في المحيطات وعن الملاحه النهريه ويبلغنا صوت الماء وهو يتدفق في سطل ما في مطبخ منزل المعلم وتمتد الانهار على السبورة الى البحر ... وكما يحفر البرد في اقدامنا يكون الجوع يحفر ثقبا في داخل كل منا ويتسع الثقب كلما تزايد البرد في اقدامنا وكلما امتدت كلمات المعلم عن الانهار التي تنتهي الى البحر ويكون كل منا يدرك ان ذلك الثقب الذي يتفاهم في اعماقه لن يسده الا ذلك الرغبة الذي تضاف اليه قطعة الجبن الاحمر .. وتكون نتصورها مستطيلة قصت بنفس العناية الهندسية التي رفعت بها جدران المدرسة ...

... وكان يجب ان ينضب الماء في تلك الخزانات الاسمنتية التي تسقي منازل القرية واشتدت الرياح الغربية وفي اعماق عيني كل سكان القرية كان مرض قديم يتجدد وكان يسمى العطش .. وعلى الطريق الصخرية الضيقة الملتوية التي تنتهي الى المدرسة كانت الرياح الغربية اشد ضراوة وكانت اصابعنا قد تجمدت بما فيه الكفاية ولم يعد يتفع ان ننفخ فيها طويلا لان انفاسنا اصبحت باردة مثل الرياح ويبدو انه كان يجب ان تقلت اعناق القوارير التي تحمل رسم المشروبات الغازية من بين اصابعنا المتجمدة لكي تنتشر القوارير زجاجا على صخور الطريق وبذلك الشكل كنا نسقي نباتات التين الشوكي التي على حافتي الطريق ماء وزجاجا . وبذلك الشكل كانت وخزات تلك النباتات تبدو اقل ايلاما من وخزات الرياح الغربية وبذلك الشكل ايضا كانت وخزات الرياح الغربية تبدو اقل ايلاما من مسطرة المعلم تلك التي تدعى نهاية

الاصابع .. وبذلك الشكل تحطمت قواريرنا على احجار الطريق وامتدت الرياح الغربية فى الفضاء الذى يفصل المدرسة عن الجبل . وقد تكون جماجمنا جامدة مثل احجار الطريق ما دام المعلم يراها كذلك ولكن ذلك لم يمنع احدنا من ان ينفخ فى يديه طويلا الى ان يتمكن من تحريكهما لكى يمد اصابعه الى منديله الازرق يمزقه لفائف لقديمه وفى ذلك اليوم انضافت كلمة الجوارب الى جملة الكلمات التى اصبحتنا نستعملها وتحولت مناديلنا المدرسية الى جوارب وعرفنا فى ذلك اليوم ان البرد يمكن يهرب الى اماكن أخرى من اجسادنا واخذنا طريقنا الى قمة الجبل وراء العنيزات التى انطلقت منذ الصباح وهناك بحثنا عن اعشاش الطيور البرية وعن جذور النباتات العلكية ولم نجد الا البرد والجوع . وعندما حفر الجوع كفايته فى معدة كل منا اخذنا طريقنا الى القرية لكى نجد المعلم هناك فى انتظارنا بمسطرته وبعد ان صفقنا امامه ونظر الينا طويلا قال ان تلك النبتة التى تتوسط الباحة الامامية للمدرسة قد سقاها طويلا دون ان تزهر وان النتيجة معنا ستكون مماثلة ..

وعندما جاء الربيع واصبحت العنيزات تنمو حول نباتات التين الشوكى قبل ان تنطلق الى الجبل تتبعها صفارها كانت اقدامنا مازالت تطبع اثارها على الطريق الضيقة المتعرجة التى تنتهى الى المدرسة وكانت الزهور الشوكية قد بدأت تظهر على الصفحات الخضراء التى تحدد طريق المدرسة . ووسط نثار زجاج قواريرنا كانت اصابعنا تلك التى مازالت تحمل اثار الرياح الغربية تمتد لكى تمسح الغبار على تلك الزهور اللينة الرطبة وبذلك الشكل رسمت على ايدينا وخزات الزهور الشوكية .

تؤكد زوجتى انى سافسد الصبى لانى لا احدهه الا عن الجانب البائس من حياة الانسان وتقول انى لست فى حاجة الى ان اعزف لنفسى وللآخرين ذكريات طفولتى الصعبة . احتج لانى اكون اؤمن ان الصفار الذين يحملون اليوم الجوارب قبل ان يتعلموا كتابة اسمائهم هم فى حاجة الى ان يعرفوا ان جذورهم تمتد فى طفولة امثالى وليس فى كتب المغامرات الملونة او فى اشربة الميكي ماوس . تكون والدتى ملازمة للوصية لانها تحمل اطنانا من الكلمات على صفحة لسانها لكنها تدرك ان الضيف فى بعض اللبابة لكى لا يعكر نظام حياة الآخرين تقول زوجتى ان اضرباب الطلبة هذه التى توفر لى كل هذا الوقت المجانى لها

جوانبها السيئة على سلوك امثالي الذين لا يجدون متعة الا في الثروة . تقول والدتي انها فرصة نادرة هذه التي تسمح لي بالبقاء في المنزل بقربها وانها لا تدرك كم أصبحت حياتنا في حاجة الى مثل هذه الفرص لكي يتمكن افراد العائلة من الاجتماع مرة في السنة .

اقول لزوجتي انه من الغريب ان يصادف موسم الاضرابات الطلابية في كل سنة موسم الزهور الشوكية . تقول زوجتي اني لو كنت اتقن شيئا آخر غير الحديث لامكنني ان استغل فرصة الاضرابات الطلابية لتوفير ما ينفعنا في الوضعيات الصعبة .

حدث والدتي عن بقية كتيبي المحترقة هناك بين انايبب الاختبار وجدول ماندلياف وعن رجال البوب والغازات المسيلة للدموع والجدرانيات التي تنادي بضرورة اعادة بناء العالم على دعائم اكثر ثباتا . تقول والدتي ان التين الشوكي لم يعد يزهر منذ غرسوا مصنع الاسمنت بقرب القرية وان الوقت قد يكون تغير ما دامت هي ايضا لا تستطيع ان تتخلص من برد الشتاء الا بلبس الجوارب القطنية .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

يسالني ابني ان نخرج لكي نتفرج على تلك الواجهة التي تعرض رشاشات البلاستيك ودبابات القصدير والايوسعة الورقية . امسك ابني من يده . ونخرج الى فضاء المدينة .. نجتاز الحواجز المتعددة لكي ننتهي الى الواجهة التي تقصدها ويكون الجندي هناك يمضغ الشوينقوم وينصت الى صوت الاسطوانة المنبعث من المغازة المجاورة ... لا يتحرك الصبي الا عندما ياتي صاحب المحل لانزال الستار الحديدي .. ننطلق مسرعين لان وقت اغلاق الحواجز التي تفصل احياء المدينة عن بعضها قد حان .

احمد مصو

قابس في 2 / 6 / 79

لقاء مع عبد القادر بن الحاج نصر

تحصل القصاص التونسي عبد القادر بن الحاج نصر في يوم 6 ديسمبر 1979 على شهادة دكتوراه مرحلة ثالثة من جامعة الصربون وتعرض بالدرس في رسالته الجامعية هذه الى الرواية في تونس . وعبد القادر بلحاج نصر من مواليد سنة 1946 ، متحصل على الاجازة في الآداب ، وشهادة الاستاذية ، وشهادة الدراسات المعمقة من جامعة الصربون . صدرت له مجموعتان قصصيتان الاولى بعنوان « صلحاء يا حبيبتي » والثانية « البرد » ورواية بعنوان « الزيتون لا يموت »

التقيت به في مكتبه بدار الثقافة ابن خلدون وهو مدير لها ، وطرحت عليه بعض الاسئلة فأجاب عنها مشكورا .

– السؤال الاول : عنوان اطروحتك : كونية روايتين « السد » و « نصيبي من الالف » .

هل لك ان تجد لنا مفهوم هذه الكونية ، والمنهج الذي اتبعته في دراستها في اطار هذه الاطروحة ؟

الجواب : – كونية نص أدبي ، هو ما يشتمل عليه هذا النص من الناحية الموضوعية والشكلية ، اذ ان كل نص يطرح من زاويته الخاصة قضية معينة تهم الانسان من بعيد أو من قريب ، وهو يلتقي في طرحه للقضية مع نصوص

أخرى أتت قبله أو بعده كما أنه يختلف عنها . وعندما يريد الباحث أن يتناول « كونية » نص أدبي - أفضل كلمة عالم بدل كونية - لا يستطيع أن يعالج بالدراسة كل ما تضمنه النص . فهناك أشياء تظل متوارية قد يكتشفها باحث غيره . وهناك أشياء تستعصى على الفهم ، وهناك أشياء أخرى تتضمن قيمة أدبية عالية يحسبها الباحث لا تمثل الا قيمة صغيرة . ولذلك فإنه تصعب الاحاطة بكل جوانب النص الادبي وحصرها ، الا ان الباحث يستطيع أن ينطلق من كونية معينة لرواية أو قصة ، وذلك ما لجأت اليه . فقد أردت أن أبرز بعض النواحي - لا كل النواحي التي اشتملت عليها رواية « ونصيبى من الافق » لعبد القادر بن الشيخ ، و « السد » لمحمود المسعدى . واتبعت فسى ذلك منهجا معروفا وهو التحليل النفسى لشخصيات هذين العاملين الادبيين وهذا المنهج العلمى قد انتشر فى السنوات الاخيرة واصبح معتمدا من قبل كثير من الدارسين المحدثين ، لكنه قليل الانتشار فى الدراسات العربية . ولا بد من محاولة اقحامه حتى تخرج الدراسات العربية من المرحلة الكلاسيكية الساذجة فى بعض الاحيان لكثرة تواردها الى المرحلة المعاصرة ، وما يتطلبه هذا العصر من تطور وانسجام مع السرعة . فقد تغيرت المفاهيم والاساليب ، واصبح كل شىء جديدا .

2 - اخترت روايتين تونسييتين تختلفان كثيرا ، فكيف تفسر لقاءهما فى اطروحتك ؟

- لست متفقاً معك فى ان الروائيتين تختلفان عن بعضهما كثيرا . وعلى عكس ما تقولين أؤكد لك أن هناك نقاطا أساسية كثيرة بين هذين العاملين الرائعين . وللتدليل على ذلك يمكن ان نشير الى ان :

السد : يثور غيلان على وضعه الاجتماعى والعقائدى فيقرر المجابهة ضد الذين يقفون لا يتحركون متمسكين بعبادات تحول بينهم وبين الحياة ، او تحبسهم فى نوع من الحياة التى لا تطاق ولكنهم تعودوا عليها ولا يرضون لها بدىلا . ولكن غيلان رغم اندفاعه وقراره الحاسم يصطدم بعدة عراقيل طبيعية ، وبشرية ، ونفسية . وبدل تحقيق سلسلة من الانتصارات يحقق سلسلة من الهزائم . وبعبارة أدق يعنى بهزيمة اثر كل انتصار . ويدرك آخر الامر أنه لن يستطيع بلوغ هدفه فيهرب وفى نفسه ايمان بأنه سيحقق ذات ساعة ما عجز عنه فى ذلك الوقت . لكنه على اية حال يغادر الميدان ويتبخر فى الهواء وراء ميارى .

ونصيبى من الافق : يثور سالم على جملة من الاوضاع الاجتماعية فى العائلة ، وفى الشارع ، وفى مكان العمل ، ويقرر الخروج من ذلك القسم الضيق. وبعد صراع مرير من أجل الرحيل واجتياز المسافة الفاصلة بين القرية والمدينة تقف امامه مجموعة من العقبات الكاداء . وكلما تقدم خطوة فى طرق المدينة الا احس بخيبة جديدة وهكذا كانت انتصاراته البطيئة تلحق بهزائم متتالية . وعندما يدرك أن المدينة ترفضه ينهار نفسيا ، ويصبح الخروج من المدينة هو الحل النهائي .

اذن غيلان وسالم يقرران الثورة فيصارعان لكنهما يهزمان . وتكون هزيمتهما مجزأة الى أن تصبح غير محتملة . كلاهما يصارع أقرب الناس اليه ، فغيلان يصارع ميمونة ، وسالم يصارع والده ، ثم يتحول هذا الصراع الى مستويات أخرى بالنسبة لغيلان هناك أهل الجبل ، وبالنسبة لسالم أهل المدينة والقرية الخ ...

هذه نقاط التقاء أساسية . وهناك نقاط أخرى كثيرة : الاختلاف الموجود بين النصين الادبيين يمكن فى الاسلوب واللغة ، وطريقة طرح القضية ، وهذه أمور تتعلق كلها بالشكل لا بالمحتوى .

3 - نتحدث فى اطروحتك عن الرواية التونسية ، فما هى ميزات هذه الرواية وإيرادها للادب العربى والادب العالمى ؟

الجواب - تطرح الرواية التونسية قضايا تونسية ، وهذه ميزة من أهم ميزات روايتي « السد » من ناحية و « نصيبى من الافق » من ناحية أخرى . ويكفى أن يكون الادب معبرا عن مشاغل الناس فى المجتمع الذى يعيش فيه المؤلف حتى يكون هذا الادب على جانب كبير من الصدق والواقعية . ان الاعمال الادبية التى تستند على أرضية حقيقية أى تلك التى تنطلق من مشاكل الانسان فى مكان معين ، وفى زمن معين ، وفى ظرف اجتماعى وسياسى واقتصادى معين هى التى تكون حائزة على قدر لا بأس به من الصدق .

ان الدارس يلمس بدون شك فى رواية السد ذلك الصراع الذى خاضه « الثائر » ضد المستعمر فى فترة معينة من الكفاح الوطنى ، وكيف أن ذلك الكفاح يكاد يكون مصيره الفشل الذريع نظرا لما يملكه الطرف المقابل من قوة هائلة ومعدات كبيرة .

كما يلمس الدارس من خلال أحداث رواية « ونصيبى من الافق » تسجيل بعض القضايا الاجتماعية والتحول النفسى التى عقيت الاستقلال . وكلتا الروائيتين على أية حال تصوران تطلع « المواطن » الى تغيير واقعه بالثورة عليه وایجاد بديل افضل .

ولعل هذا الاهتمام بواقعنا ، وتصوير ما يحدث فيه هو اكبر ايراد للادب العربى والعالمى .

خذ مثلا القضية الاساسية التى تطرحها الروائتان ، وهى قضية الجفاف . انها قضية يشعر بها كل تونسى ، ويعانى تأثيراتها ونتائجها وهى التى كانت سببا فى الهجرة الجماعية التى كانت سارية المفعول قبل الاستقلال ، خاصة اثناء فترات الحر . فغيلان حاول أن يتغلب على قضية العطش الذى تشكوه الارض ، وذلك باقامة سد يوزع بواسطته الماء توزيعا محكما . وسالم هرب من القرية لان العين التى كانت تسقى الحقول نضبت ذات لحظة ، ولم تعد توفر اية قطر . وكان الاحساس بالعطش جماعيا ، ولكنه كان أشد وقعا على سالم .

هذه القضية ، وهذه المعاناة اليومية اذا صورت فى عمل ادبى اعتبر ايرادا جديدا للادب العربى والعالمى ، لاننا نكون قد جعلنا صورة واقعا وصورة احساسنا وتصرفنا وردود فعلنا والى الآخرين أولئك الذين يوجدون وراء الحدود .

4 - عرف عبد القادر بن الحاج نصر فى ميدان القصة القصيرة . وصدرت لك مجموعتان قصصيتان « صلعاء يا حبيبتى » و « البرد » فلماذا اخترت الرواية وهى فن جديد فى تونس ولم تختار القصة القصيرة كموضوع لبعثك الجامعى ؟

الجواب - ان الرواية والقصة القصيرة كلتاها فن جديد فى تونس ، وقد ساهمت فى كتابة الرواية والقصة القصيرة بقدر متواز تقريبا . ولكننى لا اعتقد أن اختياري للرواية كميدان للبحث العلمى له ارتباط بانتاجى الشخصى وميولى الشخصية فى الانتاج ؛ فانا لست شاعرا ، الا أننى نشرت فصولا عديدة ومطولة حول الحركة الشعرية فى الستينات . وقد كنت على وشك توجيه بحوثى الجامعية حول الشعر وخاصة حول أشعار ابن الرومى وأبى نواس ، ولكننى عدلت عن ذلك وقررت أن أدرس الرواية دون سبب واضح تمام الموضوع .

المهم أننى ممن يطالع الرواية التونسية ، ولدى بعض الآراء المتواضعة فيها، وذلك مما شجعنى على دراستها ، ثم انها (اى الرواية التونسية) تطرح قضية هامة وهى قضية الماء والجفاف ولم يسبق لأحد لها بالدراسة فى حين أرى أنه لا بد من تناول هذه الناحية الهامة واعطائها حقها من التحليل والبحث . ولقد فتحت الباب فى هذا المجال . وقد أوصل السير فى هذا الدرب فى المستقبل اذا تهيأت لى فرصة البحث من جديد .

5 - فى مجموعتك القصصية « البرد » التى نشرت سنة 1978 . نلاحظ ان جل القصص المنشورة ضمنها يعود تاريخها الى سنوات 1969 و 1970 ، فكيف تفسر هذا التأخير ؟

الجواب - لقد سافرت سنة 1970 الى فرنسا لاستكمال دراستى ، ومنذ ذلك الحين لم أعد أجد الوقت الكافى لكتابة إنتاج أدبى لكننى مع ذلك لم انقطع تماما عن الخلق القصصى .

وعندما عدت الى تونس فى صائفة 1975 ، بدأت أعود تدريجيا الى الكتابة الادبية . وقد جمعت بعض القصص التى نشرت فى اواخر الستينات الى جانب قصص أخرى كتبت بعد هذا التاريخ ، وقدمتها الى النشر .
استطيع اذن أن أقول : ان التأخير كان طبيعيا ومتوقعا . والمهم اننى سوف لن أتاخر مرة أخرى .

6 - كذلك نلاحظ من خلال مجموعاتك « البرد » حزنا كثيرا وبرودة مفزعة لماذا ؟

الجواب : مؤلف القصة يستقى الاحداث والمواقف مما يحدث فى المجتمع الذى ينتمى اليه ، وهذا المجتمع ليس صخرة صماء لا تتزحزح ، فهو يتحرك سواء الى الامام أو الى الوراء . واثناء هذه الحركة تحدث أشياء كثيرة ، ويمر الناس بظروف مختلفة ، كما تتغير العلاقات التى تحكم بينهم ، وتعرض الى انقلاب جذرى فيكون الصراع ، ويكون التناطح ، ويكون الخوف والطمع والهزيمة والانتصار . انها كلها أمور تحصل اثناء حركة المجتمع . وعندما يكتب القاص لا يستطيع أن يخلق لنفسه عالما خاصا ، يتوقع داخله ، ويسجل الوهم . لابد أن يكون داخل هذه الحركة ، كما يمكن أن يكون جزءا منها . فهو يتعرض الى المتناقضات وفى نفس الوقت يكون شاهدا عليها . وهذا هو المهم . ثم ان الكتابة انعكاس لكل هذه الحركة القائمة على الصراع .

وعندما نجد نصا أو نصوصا أدبية متضمنة لنوع من أنواع الحزن أو « البرودة » - وما أدري أية « برودة » تعنين - فهي تعبير عن حالات تمر بها شخصيات القصة ، هذه الشخصيات التي تمثل - أحببنا ذلك أم كرهنا - المجتمع . فلنأخذ مثلا موقف «العامل» الذي يتقاضى أجرا بسيطا إزاء «العرف» الذي يتمتع بخيرات الدنيا وينعم بكل أسباب الرخاء والسلطة والجبروت فما هي العلاقة التي ستربط بينهما خاصة إذا كان هذا العامل لا يحظى بضمانات اجتماعية تحميه من مفاجآت المستقبل . أى نوع . من العلاقات سيربط بينهما؟ أليست البرودة ، اليس الحزن ، اليس التريص والحذر ؟؟

يجب أن يكون الكاتب صادقا فيما يكتب حتى لا يخون المجتمع ، وحتى يؤدي الشهادة كاملة . هناك كتاب جنباء ما فى ذلك شك ؛ فهم عندما يكتبون ينظرون من عليانهم ويحاولون أن يقدموا مادة أدبية هدفها البهرج والزينة فلا تجد فيها احساس أبناء المجتمع ، ذلك السواد الاعظم ، فمثل هذه الكتابة تنطلق من الزيف وتنتهى الى الزيف .

7 - ما هي محاور روائتك الجديدة المجازة من طرف بلدية تونس ؟

الجواب : - اهم محاور رواية « صاحبة الجلالة » التي لم تنشر بعد هي :
- الحب الذي ينشأ في قلب صاحبة « ويتحول الى غاصفة ولا يجد مقابلا .
- الموظف الذي تسد امامه طرق التقدم في عمله فيصبح كتلة من الشورة والالام .

- الهرب من الروتين الى الحركة .

- المجتمع الذي لا يتحرك فى خط واضح فينهزم فيه البعض ويجد البعض الآخر الطريق معبدة .

8 - ما هي مشاريعك المقبلة ؟

الجواب : - سحاول نشر ما أتممت تأليفه ، وسأجتهد فى التأليف ، لدى كتابان تحت الطبع وهما « بعض مظاهر الرواية التونسية » ويتضمن دراسة كتبت بالفرنسية ، و « اولاد الحفيانة » وهو مجموعة قصصية . كما انى سانشر رواية « صاحبة الجلالة » ونص أطروحى التي حصلت بها على شهادة الدكتوراه حلقة ثالثة وهى بعنوان « عالم روائتين » : « السد » و « نصيبى من الافق » .

رسم الحيزبون في إطار أسود

ترادفت خطواته تنفث فحيحها ونيدة تفرع السكينة عند الفجر ، وقد أراق الليل على مربعات الارصفة طلا خفيفا وامتد الشارع خلفه وقبلته مقلوبا مسبوتا تحتد فيه صيحات ... الخوف والفرع والرعب ... يعج في دماغه الحائر القلق الثقيل ...



والضمير والندامة ...

ونظراته المشدودة الى بقعة ناصعة البياض على سواد لافنة فلم بوليسي وقد لصقها من الخلف وطوق خصرها فداعبتها اللسعات خفيفة ، انطلقت اثرها ضحكاتها خليعة لذينة . والتفتت جافلة براسها يدغدغها الدلال فانساب شعرها ليلا أسود بينما سعت يده تغمد في أحشائها السكين .

انه الغدر .

والدماء القانية تنزف فوارة ووجهها الرخو تعقده آلام حادة فتخر جائية صريعة هامة .

خار كالثور الحبيس ، كالثور الجائع . ثم انهال على الباب يقرعه ويدفعه يجر خلفه سلاسل من حديد غليظة شدت الى حلقة كبيرة ثابتة على ارض الحجر الضيقة . وعلى طلاء الباب اثر أصابعه القادرة متينة الاطافر .

لم يكن يتصور قط ان المرأة صانعة وحوش .

قالت بصوتها الدافئ الشجي :

— هكذا أردت له ان يكون .

— انه الاجرام .

– الاجرام ؟!... الاجرام ان اصنع منه انسانا سويا .

ادار عينيه الكبيرتين داخل جمجمته ذات الجبين الضيق ، ثم حذجه بنظرات حيوان مونتور ، واندفع نحوه تثيره الغريزة ... شدته السلاسل ...

تحسسها فكانت باردة وما عرف الدفء فى قر الشتاء الا فى حضنها المحموم . وسطا على نفائس الدار ثم أطبق الباب . وكان شيئا لم يكن . وكان الليل جاثم على المدينة سترا يلف الفضيحة . والبشير فضولى تجذبه الفضيحة . وعلى قذارة رجل بسيط تهالك الذباب مسعورا فى ضحى يوم خريف مشمس .

لما اقتربت منه كانت يده ممدودة الى أعلى تبسط صفحة الجريدة وتفرس فى زاويتها دحوسا يشدها وقد نشرت بقية الصفحات على الارض الرطبة . حلق فى الاحرف السوداء القريبة منه فلم يسجل شيئا رغم محاولته القراءة . وثار على قدميه البعوض الراض على زجاج واجهة للعرض يكبل النور ويفزعه الظلام .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قال النطاسى :

– شظية قاسية أتلقت القرنية

المأساة أن يرى الانسان هذا الكون الصاحب بعين واحدة . ولما كان صغيرا تعود أن يمشى على يديه نتيجة شلل مزمن وتحول فى المفاصل .. جفت ساقاه

– وما عرفها الا يابسة كعبدان الحطب ترتفع فوقه كريمة وقد نبتت على جلدتها اللاصق العظم شعيرات مغروسة كشوك الهندى . ما كان ذنبه ... بل ما كان ذنب المرأة التى دفعت به الى هذا المعترك . بل كله ذنب ...

لنقل : الفقر ...

للفقر ...

الفقر !! امرأة خلقت فقيرة وشبت فقيرة وماتت فقيرة . كانت عاملة بالمنازل تطعم شيخا فقيرا يدر عليها بلحظات متعة يسيرة . يرى فيها البعض قمة الحسن ويرى فيها البعض الآخر الدأمة والقبح على أبشع مظاهره . كانت

تحمل بين يديها أثقال الغسيل . وكانت الأرض ملساء وقد أريق عليها الماء ورغوة الصابون . زلت قدمها وهوت باركة على مؤخرتها . ولما جاء ... كان مقعدا .

ولما كبر كان له ساعدان بعضلات مفتولة قوية . وكان لا يرى الكون الا بعين واحدة وهو مصلوب . وكان الصغار يمرحون وكان لا يصرح . وكانت حاجته الى التسلية شديدة . بدأ لعبه مع الصغار كعلامة لرمي كرة القدم . وعند الضرورة يكون حارس مرمى كرة القدم . تعود ان ينتفض ويهتز يلاحق الكرة . وتعلم ان يقفز وهو المقعد ليقتنص الكرة . اكسبته اللعبة خفة وقوة . واقتلع اعجاب كل من شاهده يلعب . ولما كان الصغار يلتصقون بالحائط ويقفون على أيديهم مصلوبى الرؤوس ، مرفوعى الارجل ، وكان هو أيضا يطمع فى مجاكراتهم . وتجنب نظراتهم وهو يسقط على مؤخرته . ولما استقام واقفا على يديه وحافظ على توازنه ، تقدم ساعيا كالمقرب . تعلم ان يمشى مقلوبا على يديه . تحمل سخرية الصغار فى البدء ورفض عطفهم صار يركض على يديه كما يركضون على أقدامهم اقتلع اعجابهم ، واعجاب الكبار أيضا . وتعود أن يلعب كما يلعبون ، وتعود الا يرى العالم الا مقلوبا بعين واحدة .

ولما كبر كان له ساعدان بعضلات قوية متكورة . وكان كثيرا ما يقعد حنو الجدار يرقب حركة المارة بومضات عين واحدة . كانت تمر به مسرعة فتحدهج بلا عطف ولا شفقة . كانت تلتهم صدره العريض وعضلاته المفتولة . وبدأت تتباطأ عندما تصل اليه . ثم تعودت أن تبترسم له وتحادثه فى أمور تافهة وتدعوه الى زيارتها فى بيتها النائي البعيد .

لما وصل كان متعبا جائعا . سألها الطعام بالحاح فقالت له :

— دونك والبحر .

قال لها مفجوعا :

— ليست لى رغبة أكل السمك ، ولا قدرة على الانتظار . ثم اننى لا املك زورقا ولا شصا .

قالت له :

— لم أقل لك : انك ستاكل سمكا . ولا طلبت منك اصطياد السمك ، كل ما فى الامر أنك ستجد على الشاطئ ما تسكت به خوار بطنك . ربما بعض

السميكات الجافة التي لفظها البحر فخنقها الهواء ، أو بعض الحشائش النتننة التي دفعها جوف البحر ، أو نبتت بعيدة عن الشاطئ ، أو بعض السوام جذبتها رطوبة الماء هروبا من حرارة الرمال . المهم أنك ستجد ما يمكنك أكله فالتقط لنفسك قدر الكفاية .

قال متعجبا :

- أنا آكل السمك الميت المنفوخ الجاف ؟ ... أنا آكل الحشائش العفنة ؟ ...
أنا آكل السوام ؟ ... أنا ...

ولما ضمىء طلب منها شربة ماء فقالت له :

- دونك والبحر .

قال ثائرا :

- البحر ... البحر ... أنا أشرب الماء المر ؟ .

ولما ألحت عليه غريزته ، وشعرت بذلك استلقت على ظهرها . وما كان في العراء غيرها فقال ثائرا :

- أنا أضاجع العجائز ؟ ...

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قالت يائسة :

- لقد قدمت لك كل ما يمكنني أن أقدمه . حتمية ارضاء الضرورة .

ومرت برهة صمت سألته اثرها بهدوء :

- من أين جئت ؟ ...

قال لها منفوخ الوداج :

- من بلد خصب . أرضه معطاء وأنهاره ريانة وراوية وروابيها خضر ناكل الحبز الأبيض واللحم الطرى والفواكه اليانعة . ونشرب الماء العذب والعصير المثليج واللبن المعقم والخمر المعتقة . نعربد في الشوارع الفسيحة ونتنزه في الحدائق الغناء ونركب العربات الفخمة وتؤوينا القصور المريحة ونضاجع الحسان .

قالت المرأة :

- هل من يسوسكم ؟ ...

- نعم ...

... ويدعى العدل بينكم ؟ ...

... نعم ...

... ويفتك منكم أرزاقكم لضرورة المصلحة العامة ؟ ...

... نعم .

وإذا ارتكب أحدكم هفوة بسيطة على جهل أذاقه مر العذاب ؟ ...

... قد يكون هذا .

... ويفتك بالجماعة ... وهو الفرد ... حفاظا على أمن الدولة ؟ ...

... قد يكون هذا ...

... اذن والله لاكل فضلات البحر ، والسوام ، وشرب الماء المر ومضاجعة

العجائز مع الامان لخير من لذيق العيش والطفيان

قال لها منكشما :

... افكارك يا أنت طريق الى الفوضى .

قالت بحماس وكانت تضاجعه :

... كان يرادوني وكنت امانع . ولما شعرت به ابتعدت لانت عريكتى . تجربة

واحدة وطفل واحد والرجل مسين <http://Archivebeta>

ولما اضطرب جنينا فى احشائها ابتعدت واجفة من أهلها . كانت عاملة

صغيرة وكبرت فى عملها . وعانت مشاكل الوحم والوضع وحيدة بعيدة عن

أهلها . ولما لاحظت أمها تغير مزاجها كانت كثيرا ما تردد :

... ستترك يا رب ...

ولما وضعت الطفل وحيدة فى آخر النهار شعرت بلسعة برد وسنة نوم

خفيفة انقلبت اثرها الى فرس .

قال مضطربا :

... أنت انقلبت الى فرس ؟ ... أنت المرأة ...

قالت مؤكدة بحسرة :

... نعم ... أنا ... وعندما يأتى المساء أمسخ فرسا .

... فرسا ؟ ... أى فرس ...

– فرسا ... اى فرس صالحة للركوب .

– فرسا صالحة للركوب ؟

– فرسا صالحة للركوب .

– يا ...

– لا تجزع ... فعندما ياتى الصباح اعود الى ذاتى ... وأخرج الى الناس

بكل مغرياتى ... امرأة ... ولكنى ليل طويل ..

– ترى أهو السحر ؟...

– العلم يرفض هذا المنطق ... بل يراه تحولات منطقية فى حياة الانسان .

سعت أصابعه تدلك وجهه وتحك شعيرات ذقنه حائرا وقد أطعمته كما

أرادت هى أن تطعمه .

أكل ونام .

وقامت تخطر فى البيت التنظيف المرتب تعد بعض شؤونها قبل غروب

الشمس وزحف الظلام . نظرت فى المرأة فصدمتها التجاعيد متراسة فى

المحاجر .. على الخدين .. على الجبين . لفها الحزن فألجمها وهدها الياس

فثقل رأسها على عنقها ، أسندته الى صدقة المرأة القاسية ... ثم ذابت ...

ما بقى منها ؟ ...

الوحش موتور يجر خلفه أغلاله . تنزلق خطواته الوثيدة على مربعات الحجر

بين جدران الحجرة الضيقة . عندما كان يرقب من خلف قضبان الحديد الحاجزة

كان يشعر دائما أنه الحبيس يشم رائحة البول قارصة وخطواته – بل زحف

يديه – تنزلق على الارض الرطبة تبعث فحيحها كفحيح الافاعي ونظراته زائفة

يدحرجها الرعب على صورة الحيزبون حبيسة اطار أسود .

محمد الهادى بن صالح

في العجلة السلامة

انتظر المصعد لحظات بدت له شهورا . ثم انطلق في سباق مع الزمن يصعد المدرج بخطوات سريعة واسعة ، وزوجه تتعثر خلفه دفقة ، حتى بلغ الطابق الثالث وجبينه يتفصد عرقا وصدره يرتفع وينخفض كأنه كبير حداد

لا أحد لاستقباله . لقد انصرفوا جميعا . عد إلى الطابق الارضى وعاد ادراجه يحتضن بكلتا يديه حمله الصغير وسط نظرات ورهاء محتجة كأنه هتك الحدور أو استباح الحمى . واعترضته زوجته في أعلى المدرج تسترجع أنفاسها التي تكاد تنقطع فأخذها معه وعاداً من حيث أتيا .

— العيادة من فضلك ؟

— ولماذا تدعى انك مبعوث إلى الطابق الثالث اذن .

فراش أشيب الرأس والحاجبين ذو جسم نحيل ووجه عبثت به الايام يتصدى له محققا كزوج مخدوع يرفض التضليل .

تركه ومضى في رواق طويل يبحث عن ضالته بنفسه فلمح في نهايته جمعا من الرجال والنساء والاطفال قد جلسوا على مقاعد صفقت على جانبي الرواق فلم يشك أدنى خلجة بانها العيادة .

وجوه محت الخطوب بسطور صفحتها فتساوت عندها الاتساح والافراح وأجسام عصفت بها رياح البؤس والشقاء فوهنت في ريعان شبابها ، ونفوس منداعية تنسج في جدرانها العناكب خيوطها بأمان .

وأطفال اصفرت كالورس وجوههم وغارت عيونهم وتعرت أجسامهم النحينة
القدرة تناوبوا الانين والسعال والبكاء والعيول في انتظار من يجود عليهم
بجرعة .

ألفى الباب مفتوحا وقد اكتظت الحجرة بنساء وأطفال تهاكوا أمام مكتب
صغير مهمل قبعت وراءه امرأة ترتدى بذلة بيضاء وراحت تعمر أوراقا وهي
تأمرهم أن يغادروا الحجرة فلا يدخلونها الا بنظام .

– من فضلك يا سيدتى .

– انتظر دورك .

ولكنه سارع باخراج طرف مختوم ومده اليها قائلا :

– لقد اتيت به من المصلحة لاسعاف عاجل .

ارجعت اليه الطرف دون أن تفتحه وسألته :

– هل سجلته ؟

– اى تسجيل تعنين ؟

– لكى يجرى عليه فحص يجب أن يسجل أولا

– ولكن الطبيب المباشر له فحصه منذ ساعة فحصا دقيقا وحرر تقريراً عن
حالته ودعاني لآخذه الى المستشفى لتجرى عليه اسعافات ضرورية عاجلة .
وقال لى بأن آخذه الى الطابق الثالث مباشرة .

– اذهب به الى الطابق الثالث اذن .

– ذهبت ، فوقع توجيهي الى هذه العيادة .

– ولكى يفحص هنا ، عليك بتسجيله أولا .

ثم أوصدت فى وجهه الباب .

التفت فالتقت عيناه بعيني زوجته . عينان ربيثتا قلب وجيع يعيش بين
أمل يائس ويأس أمل فى نفس يعذبها الشقاء ويعذبها الصبر . امرأة لا
يعرف الجزع الى قلبها سبيلا اذا تعلق الامر بصحتها . تبينت الهموم الطارقات
تقطع أوصالها وتفطر قلبها فلا تلين قناتها ولا تقل حدها ولا تنحدر من عينها
عبرة ولا تصدر من صدرها زفرة . ولكنها اليوم تهفو كقصن فى مهب الريح

ويرتجف قلبها كلما أن طفلها ويطرد الدمع في صحن خدها كأخاديد انشقت
لأنهار دافقة .

غاص في عينيه يلم الحزن عن أجفانها بنظرة عميقة حانية ثم سلمها طفلها
وأجلسها باب العيادة وذهب ليسجل ابنه .

اكتظاظ آخر وازدحام امام شبك التسجيل ونقار وشجار وتدافع بالمناكب
خرج منه ظافرا لطول قامته وعاد مسرعا الى العيادة مد الممرضة بما حصل لديه
من اوراق ورجاها أن تعجل بعرض الطفل على الطبيب ، فقالت برطانة :

- هناك بيانات يجب ان تدلى بها ليتنا لملء هذه الاستمارة ففقر فاه .

- استمارة ؟! بيانات ؟! .. اسعفوه أولا وأنا رهن اشارتكم . ولكنها لم تأبه
لكلامه فأخذت تعدد :

الاسم .. اللقب .. العمر .. المهنة .. العنوان .. المستوى الدراسي .

- انا جاهل .

رفعت رأسها مستنكرة :

- كيف تكون موظفا وجاهلا في آن واحد . لا وقت للمزاح من فضلك .
احس بشيء يدب في صدره .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- حالة ابني خطيرة .

- ما عي وسيلة النقل التي أقلتك الى هنا ؟

تزداد حدة الشيء فتسبب له آلاما غريبة .

- يا أخت ! ان لم يسعف بسرعة قمصيره الموت

- كل من سبقك قال نفس الكلام لكي نولي ابنه عنايتنا دون غيره ، وسيظل
يردده كل من تبعك لعين الغرض

الآلام الغريبة تسرى في جسده ، تختلط بدمه ، تنفر لها عروقه .

- هل تسكن فيلا أم شقة أم بيتا عتيقا ؟

- وما دخل السكن ؟ أنا في مستشفى أم في شركة عقارية ؟ أم ضللت
الطريق فولجت معهد الاحصاء ؟

رمت الممرضة قلمها جانبا وقالت غاضبة :

- انت تعرقل عملنا .

- عملكم؟! وهل أن عملكم تحرير وثائق عن حياة الزائرين وممتلكاتهم ونمط عيشهم واكالاتهم المفضلة ومواقع استجمامهم ... من سيعالج المرض اذن؟ ربما ضباط الحالة المدنية أو ، فقاطعته :

- من فضلك! هذا اجراء لا بد منه ، وان لم يرقك فسل واضعه . واستأنفت :

- اسم الزوجة .. لقبها عند الولادة .. العمر ..

فادخل يديه في جيبه ورمى على المكتب حزمة من الاوراق :

- هذه بطاقة التعريف .. وهذه فصيلة الدم .. وهذه رخصة السياقة ..

وهذه نسخة من الصداق .. وهذه ... وهذه ... اختارى منها ما شئت ،

ودعيني اعرض ابني على الطبيب

ثم نادى زوجته ودفع باب العيادة والممرضة تمنعه .

انفرج الباب عن رجل أصلع كثيف اللحية يرقبته ساعة .

- ما هذه الغوضى ؟

- لا يريد ان يمثل للقانون يا دكتور .

فقال وهو يشير الى ابنه النائم بين طيات لحاقه :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- اى قانون؟ ابني يكاد يفقد رمقه الاخير وينساب من بين اصابعى كما

ينساب الرمل ولا من مغيث . ان كل لحظة تمر دون علاج نفقد فيها املا فسى

بقائه حيا . اطردوا عنه شبح الموت وانا امدكم بكل ما ترغبون .

فقال الطبيب ببرودة صخرة يتحطم عليها الموج المحتدم :

- لا يفحص ان كان ملفه غير محتو على هذه البيانات .

فهتفت الممرضة :

- لقد استوفيتها يا دكتور

- فلينتظر دوره اذن .

تقدمت منه الزوجة متوسلة تكاد تذرف الدمع :

- رحماك يا دكتور . لا تؤجل فحصه فقد يذهب الانتظار بآخر انفاسه .

انى أخشى عليه العدوى ان انا جلست به مع بقية المرضى فقد جاء الى الدنيا

ضعيفا نحيفا ولم يمتلك بعد القدرة على مقاومة المرض ودرء الجراثيم . ثم انه

لم يذق طعم الغذاء منذ ان غادر المصحة .

– أرضعيه .

– ما بصدرى لبن ولم آت به مرضعته لاني لم اتوقع هذه الاجراءات . مشط الطبيب لحيته بأنامله ثم قال :

– حسنا . انتظري بالباب ريثما أتم الكشف عن المريض الموجود بالحجرة .

وطال الانتظار ونودي على مريض ثم ثان فثالث فرباع . وضاق الزوج ذرعا فاخذ ابنه واقتحم غرفة الفحص قائلا :

– ها انذا يا دكتور انتظرت حتى جاء دورى فافحصه يرحم الله والديك .

فض الطبيب الظرف وقرأ التقرير والملف المصاحب له ثم شرع فى الكشف عن الطفل فجنس نبضه واستمع الى دقات قلبه واختبر ردود فعله ثم استفسر والده عن بدء الاصابة وأعراضها وحدتها وسأل أمه عن كيفية الحمل والوضع والصعاب التي اعترضتها أثناءهما . ثم أطرق برهة قال :

– يجدر الانتظار حتى يحل الطبيب الذي سيباشره .

– يا دكتور أخشى ان يموت ابنى قبل مجيئ الطبيب

– لا تخف . صحته جيدة .

– وهذه الاعراض ؟

<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

– لا تأثير لها على صحته العامة .

الانتظار الممض من جديد . انتظار طويل مرير لا ينتهى ، ذكره بما كان يعانيه البشر ايام الحرب امام جمعيات السلع التموينية . من جديد تتصل نظراته بنظرات امراته . أتعاب مهجتها الحرة تطفو على عينيها . تسائله هل من أمل يرجى ؟

عندما قرر الطبيب نقله الى المستشفى جزعت وخافت فلها معه ذكريات مرة ، ولكنه طمأنها : تلك ايام ولت .. الطب فى بلدنا متقدم جدا .. فى طليعة الدول النامية .. اطارنا كف ..

كلمات لا تزال تطرق سمعه وهو يرى الفراش يكتس الرواق الذى غزته الممرضات رائحات غاديات كأنها أجدات تسهى ، ويستحث الاولياء وابناءهم بترك المقاعد لييسر التنظيف .

ولاح الطبيب أخيرا كفيث فى سنى قحط فهب لمقدمه يعرض أوراقه وابنه ويتضرع اليه ان يعجل له الاساء .

بسّط الطبيب الطفل على محفة وخلع عنه لحافه وثيابه وفحصه فحصاً كاملاً ثم جلس يحرق انطباعاته ويستنتق من جديد والديه .

- كيف تمت الولادة ؟ كيف كانت حاله فى يومه الاول ؟
- يا دكتور انه لم يبك منذ الصباح . كم أتمنى لو يبكى . غريب !
- أب يتمنى لابنه البكاء .
- متى ظهرت هذه الاعراض ؟ كيف تتم تغذيته ؟
- لم يتغذ منذ ثلاث ساعات ...

ويمضى الطبيب فى تحرير تقرير عن حالة الطفل فينظف ويسهب ، ويرفع رأسه بين الفينة والاخرى ليستحضر عبارات ونعوتاً يجعل بها التقرير ، والابوان شاخصان ، معلقان بحركات الطبيب ، متشبثان بتلابيب الامل .

وبعد صمت ثقيل كصمت القبور ، سلم لهما الطبيب ظرفاً ودعاهما لآخذ الطفل الى الطابق الثالث حيث ستعنى به طيبة مختصة فى امراض الاطفال . ولكن لا اثر لهذه الطيبة على الطابق الثالث ودعيا من جديد للانتظار .

أحس صدره بارداً كالايام المريرة وشعر بسنابك الحيل تروح وتجيء على رأسه تفرعها . تغور أخلاطه وتختلط فيتقيأ علقماً جرعتة ايام الليالى . يفيض على الفضاء بلطخه .

- ما دخلى ! لا حق لى بقبوله الا بأمر من الطيبة . تحل بالصبر .

الصبر .. الصبر مفتاح يظل يديره فى قفل صدىء حتى يذوب الفرج كما يذوب السراب فى الفيفاء المقفرة . الصبر داء عياء ينخر عظام فئة دون فئة . نظر الى زوجته فاذا نفس دفئة انقصمت عرى آمالها وتواصلت زفراتها ، واذا بها تكسو طفلها بنظرات لا تعرف سرها الا أم تتعذب ، وتلثم وجهه الممتقع بقلبات حملتها كل ما يضطرم فى فؤادها المحموم من حب وجزع ويأس .

ساعة أخرى تمر والطيبة لم تات . انصرف الجميع ولم يبق بالعنابر الا بعض ممرضات يمزق ضحكهن السكون المخيم .

تساؤلات معلقة بأهداب الزمن . دموع تتلالا في الاحداق ، أحزان تسمح
وجهين ظلما للحظة ارتياح يلفهما الصمت الرعيب .

أخيرا بدت الطبيبة في مئزرها الأبيض كسيجارة ذات ميسم. ادخلتهم حجرة
ضيقة وجلست الى مكتب وراحت تستنطق بدورها ، عن وزن الطفل عند
الولادة ، وعن الامراض الوراثية ، وعن عدد الاطفال الذين سبقوه وعن .. وعن ..
وعن .. وتدون البيانات بدفترها بدقة وعناية .

اطلعت على الملف المرافق ثم قالت :

– ان الطبيب يشير في تقريره الى تحليل أجرى عليه اليوم قبل قدومه الينا
وانا أجد أثرا لنتيجة هذا التحليل .

– لا شك انها وقعت في السيارة . سأتيك بها حالا .

ومضى لا يلوى على شيء ، يذكر الله كثيرا ويدعوه طويلا وينذر سيدي
أبي الحسن وسيدي محرز بذبح أن شفي ابنه .
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وعاد لاهثا والورقة في يده . ولكنه رأى زوجته مقبلة نحوه تضم ابنها الى
صدرها . لما التقيا نظرت اليه من خلف جفون قريحة مسهدة نظرات انقضت
ظهره .

لقد ابت الايام الا أن تسقيهما كأس الاسى حتى الشمالة .

أبو بكر العيادي

رادس في 8 - 5 - 1980

يوم جديد

جلس خلف مكتبه الصغير ، وقد أخذ رأسه المحموم بين يديه ، وراح فى تفكير عميق . وبينما هو على تلك الحال . تدخل عليه زوجته وهى تردد فى صوت ساحر رقيق :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhril.com

– القهوة يا محمد
ويرفع رأسه فى هدوء ويتطلع الى زوجته فى هيام ويقول فى شبه همس :
– شكرا لك يا زينب

وتقترب منه زينب بعد أن تضع الآنية أمامه على المكتب وتطوق رقبتة بأحدى يديها بينما مضت تداعب بيدها الأخرى شعره الأسود الثائر ، هاتفة بصوت يفيض بأصنق الحب :

– انك تجهد نفسك كثيرا هذه الايام يا عزيزى .
... ويلتفت اليها ويقول ، وهو يربت على يدها الرقيقة الناعمة الملتفة حول عنقه :

– لا تقلقى على .. إننى بخير . ويسكت لحظة ثم يتابع يقول :
– عندى لك مفاجأة يا زينب ستسرين لها كثيرا .
وتسأله زوجته فى لهفة وفضول وقد ازدادت به التصاقا :
– ما هى ؟

ويجيب فى ابتسام :

سنعود الى القرية قريبا .

وتهتف زينب فى فرحة طاغية ...

- احقا ما تقول ؟ ..

ويعتدل محمد فى جلسته ويقول :

- تعلمين اننى طالما سعت لدى الجهات المعنية من أجل نقلى الى مدرسة القرية . وها قد تحقق الامل اخيرا .

وتردد زينب فى انفعال ودموع الفرح تبلل وجهها المشرق بالابتسام :

- سنعود الى قريتنا اذن .. ؟ شكرا لله .

والقت بنفسها بين أحضانها . ومرت الدقائق حادة ساحرة كهمس العذارى .

وتنتبه من غفوتها اللذيذة على صوت زوجها وهو يقول :

- ان الساعة تقترب من منتصف الليل . لقد سهرت معى كثيرا الليلة .

يجب أن تذهبي الآن لتنامي .

وتنهض بعد أن تطبع على خده قبلة دافئة حملتها شكريها وامتنانها . ثم

تمضى وهى تقول : <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- تصبح على خير .

ويخلو محمد الى نفسه فيتناول فنجال القهوة ويشرع فى ترشفه على مهل

ويشعل لفافة تبغ . وبعد ان يجذب منها أنفاسا طويلة يمضى يتابع فى نشوة

دخانها وهو يتجمع فى سماء الغرفة على شكل سحببات خفيفة بيضاء لا تلبث

أن تتلاشى سريعا كما تتلاشى أحلام الصغار .

ومع الخيال السبوح انطلق يرتاد دروب الماضى حيث مغانى الطفولة وملعب

الصبا :

« فى القرية الصغيرة الراقدة عند أقدام الجبل - وفوق تلالها الممتدة عبر

الافق ، وعلى ضفاف النهر الصغير الذى يسير متمهلا بين المزارع والحقول

مترنما بأغاني الحياة وفوق الروابي الحضر والمروج الحصبية - قضى

أيام طفولته وصباه ، فهذه شجرة البلوط المعصرة الضخمة طالما

شاهدته مع ابنة عمه زينب يشيدان تحت ظلالها منزلها الصغير هو يقوم

بهمة البناء وهى تحمل اليه الحجارة وتحضر اليه الماء فى آنية صغيرة من النهر القريب ذلك المنزل الذى كلما اكتمل انهار تحت ضربات أقدامها بعد ذلك ، ولم تمض الا سويكات قليلة على بنائه ليعود فى اليوم التالى الى الظهور من جديد . وهكذا دواليك كانا كتب عليه أن يعيش فى ظل زلزال مستمر . وهذه شجرة الزيتون الوارفة الظلال الممتدة الأغصان التى كثيرا ما اتخذنا من أرضها بستانا صغيرا غرسا فيه بعض أغصان شجر التين والكرم والتفاح . وكلما اعتراها الذبول استبعدت . وعوضت بأغصان جديدة أخرى ،

وتلك المراعى الباسمة الخضراء التى طالما شاهدهة يسير خلف خرافه الوادعة المرحاة رفقة زينب التى جاءت ترعى خرافها هى الأخرى . وتحت تلك النخلة العالية الواقفة وراء التل الكبير طالما زفت اليه زينب فى حفل ساذج برى ، يقيمه أصدقاؤه لهما جاؤوا للرعى واللعب معها .

سالم الذى خلف والده الراحل على خدمة الضيعة الكبيرة التى تركها له وأمه وأخوته الثلاثة الأصغار ومنصور الذى يعمل سائقا لسيارة نقل بضائع تعمل بين الشمال والجنوب وبعد السلام الذى ترك القرية منذ سنوات . كانوا يأتونه صباح وظهيرة كل يوم عدا عشية يوم الخميس وكامل يوم الجمعة ليرافقهم الى كتاب القرية . وكانوا يقضون أوقات فراغهم فى رعى خرافهم الصغيرة أو اللعب فى الحقول ، أو الاستحمام فى النهر زمن الصيف ، وما هو ذا كتاب القرية ما يزال كما عهدته لم يتغير فيه شيء سوى المؤدب الجديد الذى خلف المؤدب الراحل . وهو لا يختلف عنه كثيرا باستثناء عمامته الكبيرة وبطنه البارز المنتفخ الذى يتقدمه دائما فى سيره ووقوفه وقعوده كانا يشق له طريقا فى الحياة .. الغرفة الصغيرة الرطبة المبنية باللبن الذى أعد من الطين والتبن المسقوفة بجذوع النخل التى تعلو سقفها وجدرانها طبقة كثيفة من الاتربة والعناكب وقد انتشر الصببية فى أرجائها ، هذا يقرأ لوحه فى تكاسل وملل . وذاك يرادد النوم أجفانه ، وآخر يداعب زميلا له ، ورابع يبكى ، وخامس يتطلع فى صبر نافذ الى ظل النخلة القائمة أمام الكتاب يتعجل الانصراف . والمؤدب مستغرق فى عد حبات مسبحة العتيقة ضاربا الأرض بعصاه من حين لآخر صائحا بالصببية فى صوت كقصف الرعد تهتز له قلوبهم وترتجف له أبدانهم : « اقرؤوا ... اقرؤوا ... يا كلاب .. »

بين جدران هذه الغرفة قضى معظم ايام طفولته وصباه ، اتم خلالها حفظ القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة ثم التحق بعد ذلك بمدرسة القرية المجاورة حيث أحرز الشهادة الابتدائية . وقد احتلقت أسرته بتلك المناسبة احتفالاً بهيجاً . ثم ارتحل بعد ذلك الى المدينة الكبيرة لمواصلة دراسته الثانوية وقد ذهب لتشجيعه بمحطة القطار الصغيرة بالقرية يوم سفره والده وشقيقه خالد وجمع من أصدقائه وذوي قرباه في مقدمتهم زينب ابنة عمه . وعاش في المدينة الكبيرة . وعرف من حياتها وأسرارها الشيء الكثير .. عرف ان الفضيلة والشرف والصدق والاخلاق والايثار وغيرها من المثل العليا التي شب عليها وتعلق بها منذ حداثة ككل أفراد أسرته وأبناء قريته عملة غريبة لا رواج لها بتلك الديار ينظر الى كل متمسك بها نظرة إشفاق ورثاء معا .

ومرت الايام ... وعاد الى قريته ذات يوم ، وقد نجح في امتحانات الشهادة الثانوية واحتلقت أسرته بنجاحه وبعقد قرانه على زينب . ومرت أسابيع قليلة وأعلن عن مناظرة لقبول عدد من مدرسي اللغة العربية بالمدراس الابتدائية فشارك فيها . وبعد أيام ظهر كشف النتائج فكان من أوائل الفائزين . وعين مدرساً بالمدرسة العاصمة . وهكذا قدر له ان يظل قريباً من أولئك الاصدقاء الذين ربطت بينهم وبينه روابط الصداقة والمحبة علاوة على اتفاقهم معاً في المشاعر الوطنية . وفي هذه الاثناء تزوج من زينب وقد وضعت له مؤخرًا طفلها الاول ذكرياً ... »

وانتبه من شروده غافلاً عقب لفافته وجرع بقية قهرته ، ثم نهض وأطفأ نور الابا جورة ومضى لينام .

وعادت الاسرة الصغيرة الى القرية ومرت الايام رتيبة متشابهة عمل بالمدرسة بالنهار واعداد دروس ومذكرات واصلاح واجبات التلاميذ بالليل وكانت أسرة عمه والد زينب تقوم بزيارتهم من حين لآخر . كان يقوم هو وزينب برد تلك الزيارات كلما سمحت الظروف ، وكان يقوم بين الحين والحين بعقد الاجتماعات السرية بالقرية وبالقرى المجاورة داعياً الى التضحية والبذل ومبشراً بالحرية والخلاص ، كما تابع نشر مقالاته السياسية بالصحف الوطنية التي كان لها ابلغ الاثر في ايقاظ الشعور الوطني بين جماهير الشعب .

وذات مساء - وبينما كان يسمر مع أفراد أسرته ويشربون الشاي الاسود كعادتهم كل مساء - حمل اليه ساعي البريد بالقرية برقية مستعجلة . وعلى ضوء مصباح الغاز قرأ فى الورقة الصغيرة :

- أرجوك الحضور فى أقرب فرصة ممكنة .. أخوك يوسف اسماعيل . -

وطال تطلعه الى الورقة الصغيرة . وظهرت على وجهه آثار التفكير ، وانتبه الى نفسه على صوت سعال والده المتقطع الجاف . فمضى يتطلع الى العيون المتسائلة من حوله برهة . ثم قال وهو يتكلف الابتسام .

- أراكم فى شوق الى معرفة محتوى البرقية ؟..

فتململ والده فى جلسته وتنحنح ثم قال وهو منهمك فى قتل شاربه الاشيب الغزير :

- انى اكره هذه البرقيات أشد الكره يا ولدى ، فهى لا تحمل غالبا الا الانباء المزعجة ولا أعرف أحدا من أبناء القرية تسلم واحدة منها ولم تحدث فى داره مناحة .

وقاطعته زوجته فى تطير قائلة :

- ماذا تقول يا رجل ؟ قال الله ولا فالك .. اللهم احفظنا .

والتفتت الى ابنها وقالت فى فضول وعى لا تخفى قلقها :

- خير يا بنى ؟

قال محمد فى هدوء :

- انها دعوة لحضور حفل زفاف أحد اصدقائى بالعاصمة وساسافر طبعاً فى أقرب وقت ، انه واجب تفرضه حقوق الصداقة .

فتنهذ القوم فى ارتياح وردد والده فى شىء من الشك والدهشة والاستغراب - هذه أول مرة ترد فيها الى القرية برقية لا تنطوى بين جنباتها على فجعة..

فضحك محمد من قول والده ، وشاركه ضحكه بقية أفراد الاسرة .

كان محمد لا يعمل عشية يوم الجمعة وكامل يومى السبت والاحد فكان لديه من الوقت ما يكفيه لسفره وعودته دون حاجة لطلب اجازة . وفى ظهر يوم الجمعة حمل حقيبته الصغيرة وركب القطار قاصدا العاصمة التى وصلها حوالى العاشرة ليلا .

نزل من القطار وغادر المحطة . وفى الطريق أوقف سيارة أجرة وألقى بنفسه فيها . وبعد لحظات كان يطرق باب منزل صديقه يوسف الذى فتح له بنفسه ، وتعانقا فى حرارة ومودة ودعا يوسف زوجته سعاد لترحب بالضيف العزيز . وبغرفة الاستقبال جلس ثلاثتهم يتبادلون الاحاديث والمداعبات والذكريات فى جو عائلى . واستأذنت سعاد حيث غابت بعض الوقت ثم عادت وهى تقول فى صوت رقيق :

— تفضل يا سيد محمد لتتعشى .

وساروا جميعا الى غرفة المائدة وبين مداعبات يوسف وزوجته مضى محمد يزدرد طعامه على مهل . وحل موعد الرقاد فحيث سعاد وانصرفت . وتقدم يوسف يصحب صديقه الى الغرفة التى خصصت له .

شرع محمد فى نزع ثيابه . ومضى يعلقها بالمشجب وتناول من حقيبته المنامة فارتداها وتهدد على الفراش فى استرخاء عذب . وجلس يوسف على حافة الفراش عند قدميه وفى صوت هادى عميق مضى يقول فاطمعا جبل الصمت :

— تذكر يا محمد كم حلمنا واخوة لنا ببعث حركة شعبية لتحرير البلاد من الاستعمار .

ونهض محمد من رفقته ووضع يده على صدره ، وقد ظهر عليه التيقظ والانتباه بينما تابع صديقه يقول :

— لقد بذلنا كل ما فى استطاعتنا . وعملنا كل ما امكن لنا عمله من أجل تحقيق هذه الغاية ، ويؤسفنى أن أترككم قبل أن تكمل المسيرة التى بدأناها معا .. لقد قررت السفر الى بلاد الغرب لاستكمال دراستى العالية وثق أننى سوف أكون رسولا لبلادى هناك .

وكفاحى بتلك البلاد من أجل قضية شعبنا سوف لن يكون أقل أهمية من نضالى على ثرى وطنى . من أجل هذا دعوتك لنتناقش الامر . وفى مساء الغد ان شاء الله سوف نجتمع بباقي الاصدقاء لتبادل الراى معهم والاتفاق على خطة مشتركة للعمل ..

وامتد بالصديقين السهر حتى الهزيع الاخير من الليل . وتناقشا فى كل شيء وكان الاتفاق بينهما كاملا . ونظر يوسف الى ساعته وقال :

— ان الوقت أصبح متاخرا .

ثم نهض وودع صديقه متمنيا له ليلة هادئة . وفى صباح يوم الاحد نهض يوسف وسعاد وصيفهما في وقت مبكر، وبعد أن تناولوا فطورا خفيفا أخذ يوسف صديقه بسيارته الى محطة القطار . وكان وداعا مؤثرا .. وصفر الفطار مرات متوالية صغيرا حادا مزعجا . ثم بدأ يتحرك ببطء، وقد علا ضجيج محركه وازيز عجلاته وهي تحتك بالقضبان الحديدية . ومضى يقذف خلال تحركه من المدخنة العظيمة المثبتة فى مقدمته ومن أماكن خفية فى أسفله بسحب كثيفة من الدخان وأراد محمد أن يلقي نظرة وداع أخيرة على صديقه يوسف الذى كان يقف على الرصيف أمام مبنى المحطة لكنه لم يتمكن من ذلك بسبب سحب الدخان ... ان من يرى القطار على تلك الحال لأول مرة يخيّل اليه انه يحترق . وتابع القطار تحركه ، وقد أخذ يزيد من سرعته قليلا وصوت صغيره يعم الاذان . وبدأت المعالم على جانبي السكة تظهر وتنتضح شيئا فشيئا .

وغادر القطار المحطة ثم المدينة ومضى بحث السير بأقصى سرعته .. انه فى الحقيقة ليس سوى قطار بضائع ومن أقدم أنواع القطارات والمركبات التى ألحت به ، والتى خصصت للمسافرين من نوع ردى، ومتأخر هي الاخرى مقاعدها خشبية وغير مريحة . وشرده الفكر فتنشغل عن الركاب وما هم فيه وعن كل ما يحيط به .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

« لقد مضى على الوجود الاستعماري بأرض الوطن أكثر من نصف قرن ، وهو يعمل جاهدا على تثبيت وجوده وتركيزه باستمرار كأنه لا يفكر فى الرحيل عن الديار ذات يوم . وقد قاوم الشعب الغزو مقاومة شديدة ضاربة منذ البداية ، لكن قوة الغازي المحتل وامكاناته وقدراته العسكرية كانت تفوق ألف مرة امكانيات شعبنا الذى كان يعاني من الفقر والتخلف التمزق القبلي فكانت الغلبة للقوة فى النهاية . لكنه رغم ذلك لم يستسلم للهزيمة ولم يتوقف عن المقاومة رغم امكاناته البسيطة المحدودة . وبقطع النظر عن أن تلك المقاومة كانت سلبية وغير مجدية فى أحيان كثيرة . لقد كان ذلك فى الماضى أما الان فقد تغير كل شئ ... ان شعبنا اليوم غيره بالامس . لقد استيقظ من هجمته . ولن يعود الى جموده وتخاذله واستسلامه مرة أرى . وقد بدأ مسيرته النضالية التى سوف تتوقف هذه المرة الا بعد استرجاع الارض المغتصبة واستعادة الحرية السلبية » .

رجع محمد الى القرية وعاد الى مباشرة مسؤولياته بالمدرسة والبيت بصورة طبيعية . وخصص ليلة الاحد من كل اسبوع لعقد الاجتماعات السرية بالقرية والقرى المجاورة بهدف اعداد الشباب لخوض معركة الحرية والشرف . ومرت الايام ... وبدأ الشعور الوطنى يقوى ويشتد ويتضح يوما بعد يوم لدى الجماهير الشعبية .. وبدأ التملل يزداد حدة وعمقا متخذاً شكل التربص والتحدى . وانطلقت المظاهرات الطلابية والعمالية والشعبية تملأ البلاد طولا وعرضا ، ما تكاد تتوقف فى ناحية الا لتبدأ فى ناحية أخرى كما بدأت بعض أعمال التخريب تظهر هنا وهناك من وقت لآخر . ولم تقف السلطات الاستعمارية الحاكمة أمام ذلك ائد التحررى مكتوفة اليدين بل تحركت للعمل وبسرعة فاقامت معسكرات الاعتقال فى عدة مناطق من البلاد . ومضت تزج فيها بالمناضلين من أبناء الشعب بعد أن غصت بهم السجون ولم تعد قادرة على استقبال أفواجهم المتلاحقة . وشكلت المحاكم العسكرية التى مضت تصدر أحكاما مختلفة على المكافحين الشرفاء . وواصلت عمليات الترويع والارهاب ضد الاهالى الآمنين فى المدن والقرى واليوادى دون تمييز بين الرجال والنساء والشيوخ والاطفال . وتسابق جنود الاحتلال وبخاصة جنود الفرقة الاجنبية فى أعمال السلب والنهب والتخريب والتقتيل الجماعى والاعتداء على الحرمات والمقدسات كرد فعل على تصاعد أعمال المقاومة . واعتقل محمد ذات يوم وجماعة من زملائه المدرسين الوطنيين على اثر اضطراب عن التدريس قاموا به تلبية لنداء نقابة المدرسين ، اقتيد هو وصحبة الى أحد مراكز الاعتقال حيث أقاموا نحواً من ثلاثة أشهر . ثم أطلق سراحهم بعد ان حددت اقامتهم بمقار سكنائهم . لكن ذلك كله لم يزد الشعب وقواه الحية الا اصرارا على الصمود والتضحية حتى النصر ... وصدق الاحرار ما عاهدوا الله عليه .

و ذات ليلة استيقظ الناس على صوت رصاص بنادق الثوار !!

لقد بدأت ملحمة التحرير !!!

... وفى صباح اليوم التالى نشرت الصحافة الوطنية تحت عناوين بارزة وبصفحاتها الاولى انباء أولى ليالى الاحرار .

وتنفس الناس الصعداء .. ومضت الثورة تتعاضم ويشتد عودها ، وتتسارع الطبقات الشعبية للانضمام الى طلائها .. ويستمر الصراع فى قوة وعنف ويجن جنون سلطات الاحتلال وتستعمل فى قتال المجاهدين أو (الخارجين عن

القانون) كما كانت تمنعهم كل ما لديها من أسلحة الفنك والدمار ، الاسلحة الخفيفة والمدافع والدبابات والمدركات والطائرات وكل ما تملكه من سلاح كما مضت تتابع من جهة أخرى القبض على الوطنيين واصدار الاحكام عليهم بالاعدام وبلاشغال الشاقة والسجن وبمصادر ممتلكاتهم ونفيهم بعيدا عن أرض الوطن لكنها مع كل ذلك لم تصل الى تحقيق أهدافها . وتستمر الثورة في زحفها المقدس حتى تكاد تشمل كل نقطة في البلاد . وأخذت قضية الشعب المكافح تخرج من نطاق الاقليمية الضيق الى الميدان الدولى الرحب وأصبحت قصة البطولة والفداء لشعبنا المجاهد مثار أحاديث وتعليق الصحافة والاذاعات العالمية على اختلاف نزاعاتها وتباين ميولها واتجاهاتها .

وفى يوم عاصف من أيام الشتاء وبجهد ما بمنطقة الجنوب دارت رحى معركة عنيفة بين وحدات من المجاهدين وجحافل جرارة من جنود الاستعمار، وعندما أخذت الشمس تنزو للمغيب واصطبغت هامة الجبل بدماء الغروب التي مضت تعانق في خشوع دماء الشهداء الطاهرة أخذت قوات العدو في الانسحاب من أرض المعركة خشية أن يداخها الفلام بين شعاب الجبل الشامخ الرعيب تجر أذيال الهزيمة تاركة بعض قتلاها وجرحاها في الميدان . وأصيب محمد برصاصه طائشة في صدره عندما كان يحوس خلال الصخور يدير المعركة ويشجع أخوته على القتال ويحثهم على الصبر والصمود . وحمل بعيدا عن أرض المعركة التي استمرت في قسوة وعنف تحت قيادة معاونه الباسل حتى كتب لهم فيها الانتصار وعندما خيم الفلام حمل على فرس أدهم وركب خلفه أحد مساعديه ليسنده ، ومضى الفرس يشق بهما حجب الظلام بينما خلفه بعض الثوار للحراسة . وتابعت الابصار الركب وهو يتلاشى بين احضان الظلام ، وغلت الزفرات وانسابت الدموع عربون مجبة ووفاء .

★ ★ ★

وحول سرير البطل الجريح التفت جميع أفراد أسرته المفجوعة ومضوا يحملون في الراقد العزيز في ألم وحزن وقلق وشهقاتهم المختلطة بالعبرات تمزق جلال السكون .. وقريبا منه وقف أخوته في الكفاح في اطراق وخشوع وفى صوت خافت متقطع طلب رؤية ابنه زكريا .. يا لله ها هو ذا يقترب منه ماشيا على قدميه الصغيرتين !!

تري ! لم أيقظوه من نومه فى هذه الساعة المتأخرة من الليل !!؟
ويهتف الطفل فى فرحة عارمة :

— بابا .. بابا .

ويرتدى بين أحضانها ، ويوسعه والده تقبيلًا بينما مضى يداعب في حب وحنان راسه الصغير بيده المرتعشة . وفجأة يصيح الطفل في فزع :

— بابا !! بابا ؟ دم !!

وفى صوت هادئ خفيض يردد البطل الجريح وكأنه يخاطب نفسه :
— انها الدماء التي بذلت ثمنًا لحريتك يا ولدى .

وتتقدم زينب من ابنها وتأخذه بعيدًا ودموعها تبلل وجهها الشاحب الحزين وفى صوت واهن متعب يخاطب محمد شقيقه قائلاً :

— أوصيك بوالديك خيرًا يا خالد ، كما أوصك بزينب وزكرياء .
ثم يلتفت الى والديه ويقول لهما وهو يغالب الألم :

— أرجو أن تغفرا لى إن أنا قصرت فى حقكما يوما .

ويتجه بنظراته ناحية زينب ويحاول أن يقول لها شيئًا . لكنها تسمرع اليه وتقول فى صوت يخنقه النشيج :

— لا تقل شيئًا يا محمد ، سوف أضل زوجتك الى الابد . وقد عاهدتك على ذلك .

وتلوح على وجهه الأسمر الشاحب ابتسامة باهتة كأنما أراد بها أن يقول
لزوجته الوفية :

« انى اذكر ذلك » .

ويشتد عليه الألم وفى جهد بالغ يلتفت الى رفاقه فى السلاح ويقول لهم .

— بلغوا تحياتى الى كل الاخوة أيها الرفاق

ويسكت لحظة وقد ازداد وجهه شحوبا وصفرة متنقلا ببصره بين الوجوه الحزينة المبللة بالدموع . ثم يتابع يقول فى صوت واهن ضعيف لا يكاد يسمع

— لا : .. لا تبكوا من اجلى .. انى أموت لتحياوا ، لتحيا بلادى ..

وكانت تلك آخر كلماته . وتقدم منه اخوته فى الجهاد يقبلون جبينه ثم ينصرفون لتلبية نداء الوطن .

ويتجاوب فى القرية الغافية الساكنة صدى صوت المؤذن وهو يردد

« — الله اكبر .. الله اكبر .. — » ايدانا بمولد يوم جديد ..

محمد الخموسى الحناشى

الشخصيات في قصص يوسف إدريس

نظرية الشكلايين لشخصيات القصة لا يمكن اعتبارها صحيحة في نظرنا إلا في النقص التي تقوم على الأحداث . حيث لا يزيد دور تلك الشخصيات على أنها مجرد روابط لأحداث القصة ، أو الخيط الذي يربط بين حلقاتها .

إننا هناك قصص يعنى فيها الكاتب خاصة برسم الشخصية فتغدو الشخصية عندئذ هي المنطلق لكل حدث . وما الأحداث في ذاتها إلا وسيلة تصويرية لرسم نوعية الشخصية القصصية .

والشخصية - كما نعلم - هي مزيج من عناصر بعضها وراثي وبعضها انعكاس للواقع الاجتماعي ، والبيئة التي تنتمي إليها الشخصية . وكلها تتصارع وتتفاعل فتكون من تمازجها وتداخلها الشخصية التي أراد الكاتب تصويرها . ومن هنا يغدو عمل الكاتب في تصوير الشخصية ليس باعتبارها مجرد خيط يربط الأحداث والأعمدة الحية التي تركز عليها مختلف الدوافع كما يذهب الشكلايون » وكتب توما شوسفسكى سنة 1925 (ولكن خالطاً بين مفهوم البطل والشخصية) ليس البطل ضرورياً للحكاية - الحكاية كجهاز للدوافع - يمكن لها أن تستغنى تماماً عن البطل وعن ملامحه المميزة . لأن البطل هو نتيجة تحويل مواد إلى موضوع Sujet . وهو من ناحية وسيلة ترابط بين دوافع ومن ناحية أخرى هو دفع مشخص للروابط بين الدوافع

(Une Motivation personnifce) (I) بل ان الاحداث والدوافع انما جعلت في نظرنا لتصوير نوعية تلك الشخصية وابرازها حية في ذهن القاري، من خلال الحدث والرواية .

لذا فلن نعتمد كذلك على المذهب البنوي في دراسة الشخصية المبنية عندهم على العلاقات فحسب كما ذهب الى ذلك تدوروف في « الرجال الحكايات » انما يعرف الشخص بعلاقاته ببقية أشخاص الرواية وهو يحصر هذه العلاقات في اربع أنواع :

(1) الفاعل ويقابله المفعول به .

(2) الرغبة ويقابلها النفور .

(3) التخطاطب ويقابله الا تخاطب .

(4) المعاونة ويقابلها المعارضة (2) .

وذلك لأن في نظرنا « الاشخاص في القصة مدار المعاني الانسانية ومحور الآراء والافكار العامة » ولهذه المعاني والافكار المكانة الاولى في القصة منذ انصرفنا الى دراسة الانسان وقضاياه . اذ لا يسوق القاص افكاره وقضاياه العامة منفصلة عن محيطها الحيوي بل ممثلة في الاشخاص الذين يعيشون في مجتمع ما . والا كانت مجرد دعاية وفقدت بذلك اثرها الاجتماعي وقيمتها الفنية معا . فلا مناص من أن تحيا الافكار في الاشخاص او تحيا بها الاشخاص ، وسط مجموعة من القيم الانسانية يظهر فيها الوعي الفردي متفاعلا مع الوعي العام ، في مظهر من مظاهر التفاعل على حسب ما يهدف اليه الكاتب في نظريته الى هذه القيم وفي أغراضه الانسانية . ولا مناص من اتفاق هذه الاغراض مع الغرض الفني . وهذا مظهر الصراع النفسي

Poetique du Recit. R - Bartkes W-Kayser-W-C Booth - Ph- Ha- (I)
mon Pour un statut Semiologiques du personnage. -PH - Hamor

فصل ص 160 - 161 سلسلة بوان طبع 1973 Editions - Deuil - Paris

(2) انظر تدوروف « الرجال الحكايات » .

والاجتماعى الذى يقوم به الاشخاص ضد المجتمع وعوامل الطبيعة وقد يقوم به الشخص ضد نفسه .

والاشخاص فى القصة ، وفى المسرحية كذلك - مصدرهم الواقع ولكنهم يختلفون عن نالفهم أو نراهم عادة فى أنهم - فى ضوء العرض الفنى - أوضح جانباً - وسلوكهم معلن فى دوافعه العامة . ونوازعهم مفسرة نوعاً من التفسير : قد يكون فيه بعض التعقيد ، لكنه تعقيد ذو معان انسانية كذلك ، وله أسبابه التى يجلو بها الكاتب هذه المعانى « (3) .

الكاتب ورسم الشخصيات

والكاتب يعتمد فى رسم شخصياته على طريقتين :

الطريقة التحليلية : وهى الطريقة المباشرة وهى كثيرة عنده حيث يعنى برسمها من الخارج أى بذكر تصرفاتها وشرح عواطفها وأحاسيسها ، بل قد يعنى رأيه حول تلك الشخصية مثل وصف بهيج فى قصة الستارة « كان زوجاً من النوع المحترم النوع الذى تجده لا بد خارج جامعة أو صاحب منصب ولديه مجموعة من الكرفانات والذى لا بد أن تجد مثل كلته الكبرى أنه يخاف خوف الموت أن يأتى عليه يوم يصبح فيه آخر من يعلم . وتسال بهيج عن سبب لهذا الرعب المقيم فلا تجده الحقيقة تجد أسباباً أوجه كانت كفيفة بمنع هذا الخوف عنه (4) او عند رسم شخصية فهمى فى قصة لغة الآى آى .

« وربما آخر طفل او انسان يعترف الحديدى انه اذكى منه . » كان فهمى اذا وقف ليجيب وقد عجز الفصل عن الاجابة التفت الحديدى بكليته ناحيته ، يتأمل ملامحه الشاحبة ووجهه الملى بالعظام النائثة والذى تكسوه مع هذا غلالة من مهابة خفيفة مهابة التفوق والعبقرية . وكل كلمة ينطقها كان يتأملها وتبهره حتى الطريقة التى ينطق بها فكل كلمة كانت صواباً بعينه ، كل كلمة

(3) مدخل الى النقد الادبى الحديث - للدكتور محمد غنيمى هلال طبعة الانجلو المصرية ص 640 - 641 .

(4) المؤلفات الكاملة . الستارة 470

لانت بالضببط ما يجب أن يقال أو ما يعجز الجميع عن قوله كان يقولها ببساطة ودون أى جهد (5) وكذلك رسم شخصية عبده فى الاورطى او شخصية احمد رشوان فى قصة (ا) الاحرار أو عم حسن العجوز فى قصة صاحب مصر .

الطريقة التمثيلية :

أما الطريقة الثانية التى عبد اليها الكاتب فهى الطريقة التمثيلية وهى التى يفسح الكاتب فيها المجال للشخصية نفسها لتعبر عن أفكارها وعواطفها وانجاساتها وميولها لتكشف لنا عن حقيقتها . وهذا نجده فى قصة الغريب عندما يصف أحد بطليها مشاعره ودوافعه الشخصية وأحلامه بلسانه أى بضمير المتكلم فنرى الكاتب ينتحي جانباً ليفسح لبطله المجال للحديث عن نفسه وتحليلها فى قالب روائى .

« كل الخلاف بينى وبين من كانوا فى سنى أنى غاليت قليلا فى رغبتي ، وأردت أن أدخل عالم الرجال بأن أقتل أحدهم ، وهى على العموم كانت رغبة دفينية لا أجروء على اظهارها حتى لنفسى ، ولكنى أحس بوجودها وأسعى الى تحقيقها وكأنما من وراء نفسى » (6) أما لماذا عن طريق القتل فقد تقول انها استمرار لنزعتى وأنا صغيرة ، ولكن الواقع غير هذا فالقتل فى حد ذاته لم يكن هو ما يجذبنى ، القتل هم الذين كانوا يجذبوننى ... هؤلاء الناس الذين يسمونهم فى مديرتنا اولاد الليل » (7) . ثم يقول فى رسم شخصيته من الخارج بعد أن عنى بذكرها من الداخل :

« كنت فى الرابعة عشر كما قلت ، نحيفا ، شاحب الوجه ، هادى ، الملامح ، عمرى ما تشاجرت أو اشتبكت أو شتمت أحدا حتى كان أبى وأمى وكل الناس يقولون عنى انى طيب وابن حلال » (8) الا ان من الطريقة التمثيلية كذلك ما

(5) المؤلفات الكاملة . لغة الآى آى ص 234 - 235

(6) المؤلفات الكاملة ص 493

(7) نفس المرجع ص 496

(8) نفس المرجع . الغريب ص 497

يفسح الكاتب فيها المجال لشخصيات أخرى في القصة لتوضيح بعض صفات شخصية من الشخصيات كان يرينا كيف يعاملها الآخرون وما هي نظرتهم عنها وانطباعاتهم عنها . وهذا كما في قصة « فوق حدود العقل » والتفت الاوسط الى شارحا كيف مات ابراهيم . . . وكيف أن أخاهم الأكبر هذا بخيل أناني جشع يسقو لي على ايجار الارض ويريد أن ينتزع ملكيتها وكيف يضع المنيح فوق المليم ويخدم نفسه ويقتات بالملح والفلفل حتى يجمع ثمن فدان . . . وكيف انه استغل ضعفه وضعف أخيه الأصغر ليفرض عليهما جبروته وسلطانه . « واحنا الثلاثة عايشين في بيت واحد كل واحد واخذ ارضه هو ومراته واولاده وبدري ده محتل الصالة بالعافية ، ويبقى الفطار عنده ويجي يصعد بالقوة يفطر مع واحد فينا عشان يوفر . وما يهون عليه يشتري باكو شاي واللا بقرش سكر . ولما يشم أن واحد فينا عمل شاي يجي يستولى على البراد بالرزالة » (9)

وقد يمزج الكاتب بين الطريقتين التحليلية المباشرة والطريقة التمثيلية كما في نفس هذه القصة فوق حدود العقل فطورا يصف الراوية نفسه شخصية الاخ كان يقول :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

« أنفقس في وجه الشاويش فأجده ضخيم الجسد ناصع البدة مدبب الملامح ، صاعق النظرات اشروطته الاربعة نافرة على كتفه تكاد تضيء بنور أحمر وهاج » (10) ثم نجد الى جواره في موضع آخر وصف شخصية أخرى لهذا الاخ الشاويش كما تقدم .

أما في الحوار الباطني والترجمة الذاتية فان الكاتب يفسح المجال للشخصية لتصوير نفسها كما رأينا في قصة الغريب وصف أحد البطلين لنزعاته النفسية ومحاولة تحليلها ولكن الكاتب لا يستطيع التدخل بل يترك للشخصية تبين ملامحها من خلال ذلك الحوار الباطني . الا اننا نشك اذا كانت القصة مثل اليد الكبيرة التي هي مزيج من الحوار الباطني والوصف ان باستطاعة الكاتب

(9)

(10)

ان يضيف جديدا . ونلاحظ اذن ان الوصف للشخصية عن طريق تداعى الافكار او الحوار الباطنى عندما يقول :

« أبى هنا اذن تحت هذا القبر ، كل هذه الكمية من الحجارة والتراب والاسمنت فوقه ، وهو الذى كان لا يحتمل اغلاق نافذة الحجر ساعة . أبى هنا نائم وملفوف بالكفن التيل المخطط وفوقه الكفن الابيض ، وحوله كل تلك الوحشة وعيونه مغلقة ، أبى هنا ولا يمكن أن يكون راقدا ، فقد كان لا يحتمل الرقاد الطويل . لابد أنه جالس ، أجل انه جالس ، جالس القرفصاء ، وكأنه يقرأ التحيات ، وقدمه كبيرة متينة تحته واصبعه السبابة تتحرك » (11)

وقات السلام عليكم .

« لم يرد ، فقد نظر الى بعينيه الواسعتين ورأيت فرطة الفرحة في عينيه . . . وكان أبى أسمر وله تجاعيد كبيرة طيبة وكنا نحبا طالما لثمتها . ولم يتغير منظره فى أعيننا طول السنين كما تكبر ونتفرق ونعود لنجده اسمر ذا تجاعيد كبيرة طيبة . وأردت أن أقبله فى تلك اللحظة فقد أحسست فجأة انى مشتاق اليه ، وحياتي قضيتها مشتاقا اليه (ص 78) ننتظر أن يندق الباب . ونذهب جميعا لنفتح لانه قد عاد ضاحكا دافعا طربوشه الى السوراء كما تعود أن يفعل ، فاتحنا ذراعيه وضدرة يدينا جفينا بكل مشاكلنا ومتاعبنا والقناها كحثة التى لا يتصور بيتنا بدونها » (12) اذن لاحظنا من خلال هذه القصة ان الابن وصف لنا أباه محور هذه القصة والشخصية الرئيسية واذا شئنا الوحيدة فيها كل ذلك عن طريق تداعى الحواطر .

أنواع الشخصيات :

على ان الشخصيات القصصية عند يوسف ادريس نوعان ثابتة ونامية في هذه المجموعات الثلاث . ولكن ما دامت مجموعات لقصص قصيرة فان الغلب شخصياتها ثابتة .

(11)

(12) المرجع السابق ص 80

والشخصيات الثابتة تولد مكتملة على الورق لا تغير الاحداث طباعها او ملامحها ولا تزيد ولا تنقص من مكوناتها الشخصية وهي تقام عادة حول فكرة او صفة واحدة لا تتغير كما هي شخصية الاخ الاكبر في قصة « فوق حنود العقل » المقامة على فكرة الجشع وحب المال التي تبلغ حد البخل والانانية المفرطة . او كما في شخصية أحمد رشوان في قصة (أ) الاحرار التي تدور كلها حول فكرة ان البيروقراطية تحول الانسان المعاصر الى آلة أو مكينة يجب أن يخضع للأوامر دون تفكير ومتى خالف ذلك لفظته الآلة الرهيبة البيروقراطية دون اعتبار لمؤهلاته العلمية او كفاءته المهنية . أو التأثير النفسي الخطير الذي يصيب الاطفال نتيجة فقدان الحنان سواء بهجرة الاب كما في قصة « آخر الدنيا » وتعلقهم بأبسط شيء له علاقة بأبائهم او فقدان الحنان عندما يشعر الابن أن أمه الارملة لها علاقات غير شريفة ويمكن أن تكون من الشخصيات ذات العقد النفسية والكاتب في هذا النوع من الشخصيات الثابتة لا يهتم بتطوير شخصياته بقدر اهتمامه بالكشف عنها وتقديم صفاتها وتوضيح ابعادها للقارى، فهي اذن كاملة الخلقة منذ خطها الكاتب في سياق القصة ، لذا يحافظ على صفاتها الاولى لا يغير فيها انما يحاول القاء اضواء من زوايا مختلفة ليكتمل له ولنا صورتها وكل ما يختلف فيها فهو مدى معرفتنا لها وإعجابنا بها أو رفضنا لها (I3) مستعينا بالسرد والوصف والرواية والحوار لتتم صفاتها الخلقية والخلقية كشخصية عبده في « الاورطى » او « عم حسن العجوز » في صاحب مصر أو السلطان حامد في « سره البائع » وسكينة « في الزوار » أحمد العقلة في قصة أحمد المجلس البلدى أو ذلك الغلام بطل قصة آخر الدنيا .

الشخصيات النامية :

ان يوسف ادريس رغم أن قصصه قصيرة فائنا نجد من بين أبطالها شخصيات نامية . وهذه الشخصيات النامية هي التي لم يكتمل نموها وخلقها ، وما تمر بها من ظروف وأحداث هي التي تشكل شخصيتها شيئاً فشيئاً وتكسيها قساماتها النهائية بعد نمائها أمام أعيننا . (I4) وهذه

(I3) الدكتور يوسف نجم كتاب فن القصة ص 130 . دار بيروت سنة 1966

(I4) نفس المرجع السابق ص 104

الشخصيات النامية نجدها في قصة « حادث شرف » التي بطلتها فاطمة الجميلة جدا والتي تثير الرجال أو الرجولة في الرجال ، وحتى الاطفال لا يمكنهم أنفسهم عندما تمر بهم فيرفعون أثوابهم ويكشفون ما استطاعوا ... وهم لا يعلمون لماذا . هذه الفتاة معبودة العزبة كالجوهرة أو الملكة بجمالها ودلالها ورقتها يحدث لها حادث حيث يفاجؤها غريب في الغيط فتصرخ ويفر ويأتى الناس ولكن لا يصدقون أنه لم يفعل معها « العيب » وتحملها نسوة القرية إلى أم جورج لتكشف عليها ويتجمع عليها النسوة ليكشفن عن أدق دقائقها ولكن يجدونها سليمة والشرف مصان ولكن من يومها تغيرت « فلا بد أن فاطمة قد اكتسبت شيئا جديدا لم يكن لها أو لا بد أنها فقدت شيئا أصيلا كان لها الشيء الذي كان يصون وقفتها ومشيتها وضحكاتها الشيء الذي يجعلها تبدو ملكة للجميع تحب الجميع ويحبها الجميع » (15) . وملاحظ هذه الشخصيات النامية تنكشف لنا شيئا فشيئا خلال الرواية أو السرد أو الوصف وتتطور تدريجيا خلال تطور القصة وتأثير الأحداث أو الظروف الاجتماعية . ومثال آخر لهذه الشخصيات النامية شخصية الدكتور الحديدي عضو مجلس الإدارة والشخصية العامة الموقوفة والعضو في أكثر من جمعية عالمية يلتقى - وهو في قمة مجده - بتلميذه فهمي أبو عنزة الحاد الذكاء ابن بلده . وقد كان يخشى أن ينفرق عليه في يوم من الأيام . ولكن يلتقى به بعد جهاد السنوات المتواصل هيكلًا قد نخره مرض سرطان المثانة ويحمله إلى بيته تلك الليلة ليدخله المستشفى في الغد ، ولكن فهمي يعاني في تلك الليلة من آلام مبرحة ويطلق صوته بأى آى فيوقظ الحديدي وزوجته الجميلة وابنه الوحيد والعمارة وسكان العمارات المجاورة فتحصل للحديدي صدمة وجودية وتغير شخصيته وهو الذي عماء الطموح فنسى الاصدقاء والقرية والعلاقات ... في تلك اللحظة يدرك أنه كان يسير في طريق خاطئ أو عبث في عبث بلغة الوجوديين . وتغير في تلك اللحظة شخصيته ويحصل لها تغير في مكوناتها فيخاطب فهمي الذي يطلق صراخه المدوى في أعماق الليل فيوقظ الحي الفخم « هات يدك يا فهمي ضعها هنا على صدرى انه خاو كما ترى انا أعرف انك مريض وأحس به وأريد أن أقاسمك الألم ولكن لا أستطيع فقلبي من خشب تركتكم جميعا أنت في زيتين وسعد في بنها وعبد

المحسن في اسبوط ... وظننت أنكم تسبرون في الطريق العادى ، طريق الندامة ... وان الطريق الاسرع طريق السلامة ... والنتيجة انى مت من زمن وظللتم أنتم أحياء ... أنا أريد العودة يا فهمى أريد البداية من جديد اطلب فرصة أخرى فمن يقبلنى يا فهمى من يقبل جثة « (16) » .

ثم يقول لزوجته وهو يحمل فهمى على كتفه لتنقله سيارة الاسعاف :

.. رائح فى طريق ثانى صعب شديد ... تيجى معاى ؟

.. أنا ماروحش واياك بالشكل ده ... أنت أجننت (17)

هذا الشعور بعثية حياته السابقة وبأنه أصبح فى نظره جثة وقراره بأن يغير حياته ويترك كل شىء ، وأنه سيذهب فى طريق ثان كل ذلك دليل واضح على تغيير حصل فى شخصيته نتيجة تلك الخدمة وهذه يعبر عنها بالشخصية النامية .

ARCHIVE
شخصيات انسانية ونماذج بشرية
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

على أن شخصيات يوسف ادريس سواء الثابتة منها أو النامية قد تكون شخصيات انسانية ، والشخصيات الانسانية هي تلك الشخصيات ذات الملامح والقسمات والصفات الخاصة التى تجعلها فريدة مبتكرة (18) ومن شخصيات يوسف ادريس الانسانية الاب فى قصة « اليد الكبيرة » ذلك الاب الذى يحتل عى الواقع مكان الاب والام معا ؛ فهو عطوف اكثر منها ، وهو الذى يجدون راحة فى كتفه ، وهو الذى يفتح صدره لهم ، وهو الذى يعلمهم الحياة ، وهو الذى يقص عليهم قصصا وان كانت من المحكمة . وهو اذا أتى ابنه يجرى للقاءه بينما تنظاظر الام بالنوم وترقب الى أن يأتيها الابن وهي فى فراشها لتستيقظ .

(16) نفس المرجع السابق ص 303

(17) المرجع السابق ص 305

(18) فن القصة ص 105 . الدكتور يوسف نجم دار بيروت سنة 1956 .

ومن الشخصيات الانسانية - فاطمة الانثى الساحرة الجمال فى قصة حادثة شرف وعبدته فى قصة « الاورطى » . تلك الشخصية الضعيفة جدا وسكينة الضعيفة الرقيقة الحنون فى قصة « الزوار » .

وأحمد عقله فى أحمد المجلس البلدى المتعدد المواهب الغريب الشخصية الذى يحب أن يرضى الجميع ويمزج مع الجميع .

وأما الشخصيات التى تعتبر نماذج بشرية فهى تلك التى تجسم خلة من الخلال الحميدة من شجاعة وكرم أو نقيصة من النقائص كالجبن والبخل . وهذا نجده فى شخصية الاخ الاكبر فى قصة « فوق حدود العقل » فهو نموذج لاجشع وللانانية وحب المال .

وابراهيم فى قصة « لان القيامة لا تقوم » انموذج لعذاب الاطفال عندما يدركون فجور أمهاتهم وحرمانهم من الحنان الكافى .

ومثله بطل آخر الدنيا فهو نموذج لحرمان الاطفال من عطف الابوين .

او نموذج للبطل الوجودى كشخصية الدكتور الحيدى فى قصة « الآى آى » على أن هذه النماذج قد لا تمثل نقيصة أو مجادة بل قد تمثل نموذجا لطبقة اجتماعية ما ارسنقراطية ، شعبية او مثقفة فتحمل من الصفات والملامح ما تمثل تلك الطبقة وتتجسم فيها أغلب صفاتها (19) .

وهذا مثل شخصية بهيج فى قصة الستارة تمثل رجل الطبقة المتوسطة فى جميع بفاع العالم اكثر الطبقات ارتباطا بالمبادئ والاخلاق أو عم محمد بطل قصة شيخوخة بدون جنون نموذج الطبقات المسحوقة من المجتمع ويجسم كدما وعذابها فى سبيل الرغيف الى آخر لحظة فى حياتها .

والغريب : بطل القصة الطويلة « الغريب » يمثل نموذجا لقطاع الطرق والجرمين فى الريف المصرى .

كما أن أحمد رشوان يمثل نموذجا للبيروقراطى المصرى وان أصيب بثورة على هذا النظام فى قصة (أ) الاحرار كما أن فى شخصية فهمى فى قصة لغة

(19) انظر فن القصة - الدكتور يوسف نجم ص 105

الآى آى قد تكون نموذجاً للكثير من الازكياء وللعباقره من ابناء الطبقات الفقيرة او الريفية الذين عدموا تكافؤ الفرص فلم يسمح لهم بالتطور وظلوا عمالاً قرويين . كما ان بطل « الشيخ شيخة » يعتبر نموذجاً لانواع من الجانين والمتخلفين ذهنياً واحتالين الذين تعج بهم الارياف العربية ويظن الناس أنهم على بركة عظيمة فيتبركون بهم ويفسحون لهم كل مجال حتى بيوتهم « وكائن كهذا لو وجد فى اى مكان آخر لرأى الناس فيه ظاهرة جديدة بألدراصة والابحاث ، او - على الاقل - لنشروا صورته فى الجرائد والقيام معه بتحقيقات .. ولكن أهل بلدنا لم يكن يرون فيها كاننا شاذاً أبداً كل ما فى الامر انه كائن مختلف » (20) .

الخلط بين الشخصيتين :

على أن يوسف ادريس وقع فى خلط بين هاتين الشخصيتين الانسانية - والنماذج البشرية فى قصة صاحب مصر - عند وصفه لعم حسن .

« واول ما يؤدى الى هذا الخلط هو محاولة وصف الشخصية الانسانية ببعض الخصائص النموذجية والمثالية فى نوعها فقط . » وما يؤدى الى هذا الاختلاط ايضا ان الكاتب احتاج الى التعميم عن الشخصية ببعض الصفات الخلقية المجردة التى تمثل الجوانب الواضحة منها كركرة القلب والشفقة والحنان وحسن الطوية والحيث او الحسة واللؤم والمكر » (21) كما فعل يوسف ادريس فى وصف عبدة بطل قصة الاورطى .

« ولكن حتى كطعام كان عبده لا يدفع الا للاشمئزاز ، وقتل الرغبة فقد كان نحيفاً غلبانا ما حفلت عيناه مرة بحفلة تحد ولا واجه احداً مرة بنية اثبات الوجود او الدفاع عنه . كان طيباً ذلك النوع الباهت السلبى من الطيبة . مصاباً بفتق مزدوج ويغنى فى خلواته مواويل عذبة وكأنه أنى يحل غريب لم يعثر له ابداً على وطن ، واذا فاض به الحال بكى امتلات عيناه فجأة

(20) المؤلفات الكاملة ص 392

(21) الدكتور محمد يوسف نجم - فن القصة ص 106 - دار بيروت للطباعة

وانشتر سنة 1956

بدموع لا يصاحبها احمرار ... ويصعب عليك ليس فقط لانه عبده وانما لانه وهو الرجل ، كالأطفال والنساء يبكي بكاء ، لا ليونة ولا طفولة فيه ولا يستدر العطف ... حرامى قروش لا يأخذها الا مضطرا واقل مقدار واذا ضبطه ارتبك وتلعثم وأقسم ايمانات كاذبة ، (22) .

وكذلك من الخلط الذى سببه اكتفاء الكاتب بذكر بعض الصفات الخلقية دون اهتمام برسم كامل للشخصية كوصف يوسف ادريس لم حسن « وفي دقائق يعرف ما لا يعرفه غيره فى ساعات فوجهه كان يملك اللمسة السحرية المتناهية البساطة التى تفتح النفس والنفس دائما توافقه لان تفتح ... وقد استطاعت نفس عم حسن الخالية من المهبطات والمعلقات ومخصصات الأنا اللازمة أن تمتلئ وتستوعب عددا لا يعد ولا يحصى من كنوز النفوس الأخرى وفوق ما يمكنها تقديمه وعرضه من نماذج استطاعت نفس عم حسن أن تقوم بدورها كصانعة لآلى ، وماسات ، وأن تحيل ما احتوته نفسه من تجارب ، ومن الآلاف المؤلفة من تجارب الآخرين الى ما يشبه برج مجوهرات الامبراطورية البشرية ، (23) .

الا ان من قصص يوسف ادريس فى هذه المجموعات الثلاث ما كانت الشخصية فيها ضعيفة والعبرة كلها تنصب عنده على الحوادث - وهذا النوع من القصص الذى يعرف بقصص الحوادث « وفيها يسلط الكاتب عنايته على الحوادث ، ولا يهتم بما سيحدث لها على صفحات القصة . وكذلك الحوادث لا ترتبط ارتباطا وثيقا بالامكنة والمواضع التى تجرى فيها ... وتتوالى الحوادث معتمدة على التشويق والمماثلة لكى لا يفتر نشاط القارئ فى تتبعها والعدو وراءها ، (24) .

ومن قصص الحوادث عند يوسف ادريس - حالة تلبس - المحطة - تحريدة العروسة - وهناك كذلك قصص الافكار فان عناية الكاتب فيها

(22) المؤلفات الكاملة - مجموعة لغة الآى آى ص 336 .

(23) المرجع السابق ص 362 - 363 .

(24) الدكتور محمد يوسف نجم - فن القصة ص 143 - 144 - دار بيروت

للطباعة والنشر سنة 1956 .

بالفكرة تفوق عنايته بالشخصية بل أهمية الشخصية تتمثل في أنها أداة
لإبراز أو تأكيد فكرة معينة أو تجسيم لها . وهذا كما في قصصه - الرمزي
معاهدة سيناء - شيء يجئن .

ومن هنا يمكن لنا أن نقسم قصص يوسف ادريس بحسب الشخصية الى
قصص - الحوادث - والافكار - والشخصية ونعنى بقصة الشخصية :

« نوع ثالث من القصة تختفى فيه هذه الهوة الفاصلة بين الحوادث
والشخصيات ، فلا تكون الشخصية خاضعة لبناء الحبكة وبالتالي لا تكون
الحبكة اطارا عاما يحيط بالشخصية فحسب ولكن القصة نسيج محكم سداه
الحوادث ولحمته الشخصيات ... نجد أن صفات الشخصيات وأخلاقيها
وعاداتها تؤثر في سير العمل القصصى كما أن الحوادث تنبئ بكلئها على
الشخصيات وتساعد على تطويرها وانماها وتترك أثرها فيها » (25) .

وقد قمنا بجدول اصحابي فوجدنا أن الأغلبية في المجموعات الثلاث انما
هي لقصص الشخصية . ونستنتج من ذلك أن الكاتب يتوخى القصص
الاصعب والاقدر فنيا كما يدلنا على أن الكاتب وللوع بسبر أعماق النفس
البشرية واعتبار الانسان ليس كائنات معزولا عن البيئة والحياة بل هو يؤثر
فيها ويتأثر بها . وهو ليس ميالا الى اعتبار الشخصية القصصية مجرد
أنموذج فاقد للحياة تتلاعب بها الحوادث كما تشاء بل هي كذلك تتحكم فيها
وليست مجرد دمية يحركها الكاتب كما يشاء حتى تغدو فاقدة لكل حياة . (*)

هذا وبعد دراستنا للشخصيات يفضى بنا البحث لدراسة الاشكال
القصصية .

(*) فصل من دراسة بعنوان يوسف ادريس كاتب القصة القصيرة . نال
بها الكاتب الكفاءة في البحث الادبي

(25) نفس المرجع السابق ص 149 - 150 .

جدول بياني لانواع القصص فى المجموعات الثلاث لـ يوسف ادريس
بحسب نوعية القصة

قصص الافكار	قصص الحوادث	قصص الشخصية
اللعبة	المحطة	شيخوخة بدون جنون ص 28
معاهدة سيناء	حالة تلبس	اليد الكبيرة ص 66
شيء يجنن	تحويدة العروسة	حادثة شرف ص 94
ص 278 - لغة الآى آى	الورقة بعشرة	الزوار ص 206
- لعبة البيت	الستارة	فوق حدود العقل ص 244
		هذه المرة ص 262
		لان القيامة لا تقوم ص 316
		الاورطى
		صاحب مصر
		الشيخ شبيخة
		طبلية من السماء ص 52
		احمد المجلس البلدى ص 432
		سره البائع ص 124
		ذى الصوت النحيل
		الغريب ص 490
		آخر الدنيا
		أ - الاحرار ص 406

أحداث داخل النفس و داخل الواقع

١ - ويخرج مسرعا .. كالمجنون .. قد عمه العرق .. وكاد يصطدم بالباب..
لقد عم الضباب بلور نظاراته ..

ويرتمى على الحشيش الاخضر وسط حديقة الجامعة .. وينظر من جديد نحو
المبنى الابيض الكبير .. يبلوره الكثير . يظهر كل شيء أو يكاد .. ويخترق
الحيوط ويراهما من جديد في معطفها الازرق الجديد ونظاراتها الكبيرة الجديدة ،
كنظارات عارضات الأزياء ... قد التصقت به التصاقاً غريباً ، لا تهتم به وبكتبه
قد اغطس فيها رأسه ، تنظر باغراء .. وبراءة الى السماء .. تلعب بها كف
القدر فتحيل زرقهتا الى اصفرار الشفق ، وينظر هو من جديد الى السماء لعل
زرقتها تأخذه وتبتلع حاضره وماضيه فتنسيه كل شيء ..

ولكن الشفق هناك يذكره بصفرته أشعة الشمس الآفلة ، ويذكره
- خصوصا - بأيامه القليلة والكثيرة .. ويرى السحب تتسارع وتتراص
ويشعر أن الاسوداد ، وكأنه يهيء زوبعة كبيرة .. ينذر لونها بأحوال شداد..

ولكن جزءا منها كبيرا كبيرا يلتحم ويتحد وتلعب به بعض الريح وإذا هو
بشكل جميل ذي ذروتين أو أكثر .. يتكور وينقلب ويهجم بقوة على بقية
السحاب فلا يلتحم به بل يشقه شقا قويا .. فتتقسم كتلة السحاب السوداء
الى أقسام عدة .. ويقصف الرعد بشدة .. والبرق يأخذ الابصار .. وتنهمر
السماء .. والجمل هناك قد اعتلت ظهره عشرات الذروات .. يواصل سيره
بسرعة مهولة .. الى خيط الافق .

« وهو بجانبى لا محالة ، أحتمله ويعبدنى ... لا تنفك يذكرنى بلقائنا
الاول ويقبلنى فيكثر تقبيلى . يريد أن يتذكر حلاوة القبله الاولى » .

ويصرخ الجمل و « يهدر » .

ويستمع اليه من فى الدنيا بأسرها ... فيطاطنون الرؤوس خوفا وذلة ...
« إنه يتشبث برسائلى القديمة ، يريد أن يظهر انى أحبه أيضا ... فابتسم
ساخرة منه ... فيضحك لى ببلاهة » .

ويختم بعضهم بصوت لا يكاد يفهم ، وكأنه يشتكى مولاة الجمل الاسود
الكبير ...

« إنى ارتضيته ، نعم .. ولكننى مكرهة ... ليرضى أهلى وليطمئن أعمامى
وأقاربى ، إن أرزاقهم وأموالهم ستكون مصونة » .

والجمل يهدر ويهدر ... فتعود به الأذان وتنسى الذكريات القصيرة
الذكر ... وتتعب الأعين وهى تراه ينحدر نحو خط الافق ولا تنتظره يصل
ذلك الخط .. ويهوى للبحر ، بل تقنع نفسها أنه هوى ... وما هوى بعد
الجمل !!

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

« إنى أمثل معه تمثيلية الحب حتى يعرف أنه جمل ذو سنم واحد ، ككل
شئ، وأنه لا بد أن يهوى ... نعم ... إنها مجرد تمثيلية ... لأنه غبى » .

II - ويضرب يمينا وشمالا ، قد زم شفتيه وعقد يديه وهو يصرخ ...
بأعلى صوته .. لا يدري لماذا . ولكنه رأى الجميع يصرخون فأخذ يصرخ معهم
وأطمان لذلك وكأنه تشجيع له بالمضى فى مطاردة هؤلاء الطلبة وتهشيم
وجوههم ...

لقد تمنى أن يكون شرطيا حتى تكون له ما لهم من عصى وكسوة وقباعات..
ليزداد هيبة وقيمة .. وأظهر حماسا كبيرا ، وصار يصرخ فى زملائه :

« زيدوا ، زيدوهم ، « قدمولهم » !! ها الفروخ !... »

كان فى طليعة المقدمة .. كان ضمن أولئك الذين قاموا بالهجوم الاول على
باب الجامعة البلورى الكبير، فهشموه حتى يطاردوا الطلبة المتحصنين وراءه...

ولكم هذا الطالب. وركل هذه الطالبة. وفار الدم في عروقه ، وهو يرى هذا الطالب وكأنه طفل أو يكاد يحاول أن يدافع عن نفسه فيوجع الضربات ، فيطارده ويشبعه ركلا وشتما وصفعا فيدمى وجهه وفمه ... ، ويأخذ رأسه يضرب به الحائط وقد حصره في هذه الزاوية وهو يصرخ به :

« تنكر المعروف ! تأكل وتشرب ثم تشتم الحكومة ! وتزيدك الفلوس من فوق !! » .

ويدفع به خارج المبنى تتلقفه أيدي الشرطة بكل لباقة و « لطافة » فترمى به في « بيت الحضر » ...

ويواصل المولدى هجوماته ، ويتعقب هذا « الفرخ الآخر » في الدرج ، ويوشك أن يسقط أمام سرعة هذا الطالب ومهارته في اللف والدوران ويفقد أثره في بعض المرات ...

... ويشعر بالحيرة ، ويأخذه الحنق ويلتفت ، فيدفع بكل قواه بضربة على أم رأس هذا الطالب الذى يجرى فيسقط على رأسه بعد أن استدار على عقبيه دورة كاملة .

ويشهق المولدى . ويسرع في النزول طابقا واحدا ...
وقد بدأ يشعر بقلق ... ويعترض طريق أحد الطلاب ..

كان الذعر قد انتصب على وجهه فيدفعه ضربا الى الطابق الاعلى ، ثم يقبض بزمَام عنقه ويكثر من صفعه ... ويصرخ به وهو يشير الى الرجل الملقى على الارض ...

– أتجرؤ على ضرب السيد المفتش ...؟ أتجرؤ؟؟
ويأخذه أخذة رابية والطالب المسكين يتلوى ويستنكر :
– لم أفعل ذلك ؟ لا والله !!

ويحمله الى المسؤول الكبير ويقص عليه القصة فيوضح الطالب في سيارة خاصة ويوكل به شرطيان فيشبعانه ضربا الى أن يغمى عليه ... ويقول له المسؤول الكبير ...

– أحسنت يا مولدى ، سأتذكر موقفك هذا !! واصل عملك .

وينطلق المولدى وقد رضى عن نفسه ... وهو يقول :

- لن أتهم هذه المرة من جديد ، لن يقال لى : إنك فررت من الواجهة ...
عند موقعة بنزرت ...

ويرجع وسط الممعة يطوى الطوابق طيا ينظف الممرات من كل الطلبة
تنظيفا وهو يصيح :

- عقوق ... عقوق !!

ويراه وهو كالاسد الهصور ، ويفر فى جمع من الطلبة من طريقه ...
ويوشك أن يدرك بيته ، ولكنه يرجع ادراجيه ويصرخ فيه :

- مولدى ! مولدى ...

وينظران الى بعضهما نظرة خاطفة ولكنها محرجة !

ويوشك المولدى أن يتدارك نفسه ويواصل عمله وهو يتذكر كلمات
المسؤول الكبير ولكنه يمسك بزنده ويجذبه اليه برفق ويوصله بيته ويفلق
دونهما الباب :

- أجننت ؟ ماذا تفعل هنا ؟ <http://Archivebeta.Sa81n>

ويقص عليه كيف أن المسؤول الكبير اتصل بعرفهم فى الميناء مساء أمس ،
وكيف جمعهم وأغفومهم من العمل وطلبوا منهم أن يقضوا الليلة بالميناء ...
وكان يريد أن يحدثه عن العشاء الكريم الذى قدم اليهم وعن الاجر المضعف
الذى سلموه لهم واعدن إياهم بالزيادة ..

وسأله بالحاح : ماذا قالوا لكم ؟

- قالوا لنا إنهم يأخذون المال بكثرة كل شهر ، وهم لذلك يضربون
ويشوشون ، يريدون الزيادة ، ويسبون الحكومة والحزب ! بينما انتم العملة
فى الحالة التى تعرفونها ... وقالوا لنا : لا بد من وقفة حازمة ... فهذا واجبكم
نظرا للمصلحة العامة ...

وصب له كأسا من البيرة ...

- أنت مجنون !! قد كذبوا عليكم أجمعين !

والج عليه في البقاء الى المساء ... وصب له كاسا ثانية ، وحاول ان يقنعه ... ولكن المولدى لم يفهم كثيرا تفاسيره الطويلة المعقدة ... وقال له آخر الامر :

- لا بد لى ان اعود اليهم ، سيفتقدوننى وسيبحثون عنى ولكنى لن اعود لهذا بعد اليوم ... اعدك بذلك .. وخرج ..

ورجع ينظر فى المر واذا به قد أقفر من الطلبة ومن ملاحظيهم . واغلق الباب من الداخل ونظر من النافذة ...

سيارات الشرطة تغيب فى المنعرج بحملها ، وصفوف الحرس والجيش لا تزال مرابطة ... لقد هدأت الفوضى بعض الشيء ويخرج من جديد ... الى المر ... واذا به يرى أحد الطلبة وقد كسا الدم وجهه ، فيأتى نحوه ويعترضه بسرعة :

- أين المستوصف ... ويساعده ممسكا بيده ، ويوصله الى المستوصف .
المرضة مرتبكة ، وجهها مصفر ، تحملها الى البيت الداخلى ، تشير بدون أن تتكلم الى سرير فارغ .. وتبدأ فى مسح دمه السائل ...

كل الاسرة ممتلئة .

ويراها هناك .. بجمالها الذى فتنه دائما ، بهدوء ابتسامتها التى حلم بها كثيرا هذه الايام الاخيرة ... وجهها جميل دائما ، لا ابتسامة فيه هذه المرة ، قد استلقت على السرير الاخير ، عيناها مغمضتان ..

وتأخذه رجفة ...

ويسأل الممرضة بعينيه ، فلا تجيبه ... ويتجه نحوها واذا بها لا تزال تمسح دم ذلك الطالب ... قد استفرقها عملها فلم تشعر حتى بقربه ...

ويهرع نحو السرير ، فلا يرى اثرا للدم ، فيطمئن بعض الشيء ويضع يده على جبينها ، فتفتح عينيها ... فيبتسم اليها بلا شعور منه ، ولكنها لا ترد على ابتسامته فيأخذه الهلع من جديد ...

ولكنها تعلمه أن لا شيء بها ، إنما هو بعض الضعف والخوف قد اعتراها
 في خضم التصادم ، وانها أتت هنا تبحث عن بعض الراحة وعن مخبأ آمن ...
 ويجلس قبالتها ، يطمئنها ويكثر من الابتسام اليها .. ويستدعيها لبيتته ،
 قائلاً : إنها تستطيع أن تكون هناك في أمان أيضاً وانها تستطيع أن تترتاح
 أكثر ... وترحب بالدعوة ... ويحمل اليها كأساً من الماء البارد ...

ويأخذها النوم ...
 ويراقب تنفسها الهادئ الجميل ...
 كم هو يريد أن يكون لها وتكون اليه ...
 أيكون ذلك يوماً ما ؟
 إنها مع الآخرين ...
 وهو يعرف ذلك ، وكم كان يقول في نفسه :
 - ولم لا ؟ يمكن أن تتغير الأحوال ...

وهو يرى الآن أن الأمور تغيرت بسرعة هائلة !! أيمكنها الآن أن تصير من
 جانبه ... واستبعد ذلك ولكنه عطل نفسه بالاماني ... وتساءل : لم لا يكون
 هو بجانبها ؟

ونقم على المسؤول الكبير ... أترى هو الذي أمر بما أمر ودبر ما دبر ؟
 ألم يعدوهم قبل يومين أن التصادم لن يقع . وأن الأمور لا تتعدى التهديد
 اللفظي ؟

لقد لعبوا به وبأصدقائه ، وكذبوا عليهم ...
 وفتحت عينها ...

واستأذنت في الذهاب وقد مر الزوال منذ مدة ، ونظرت اليه نظرة فيها من
 الحقد واللوم الشيء الكثير ...

وشكرته على ما فعل ، وكان في ذلك من المجاملة الشيء الكثير أيضاً ...

وخرجت يتبعها بنظراته وهو يقول في نفسه :

- إنها على حق !! لن ترجع لبيتي بعد اليوم ! لن تكون لى رقيقة أبدا .

III - لم يكن يتخيل ذلك أبدا ...

لقد فرح كثيرا يوم عاد بورقيبة ، لقد طاف بارحاء القرية مع الصبيان يحمل الاعلام ويهتف : تحيا تونس ، يحيا بورقيبة !

لقد كان ذلك هو الاستقلال الحقيقي ...

كان يحلم ولا يزال ، بأيام آتية سعيدة ، تحمل المال والغناء ... وصفق في الاجتماعات وقاد المظاهرات للتأكيد يوم انتزعت الارض من المعمرين وقال :

- « منو فيه ، زيتو يقلبه » .

وتخيل نفسه يملك آخر الامر قطعة صغيرة من الارض تهديها له الحكومة ، اليس له حق في ذلك !!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhril.com

إن الارض كانت لأجداده لا محالة ...

ورضى بالتعاقد وأعطوه أسهما ، لم يأخذ لا مالا ولا انتاجا ، إنما هي حالة أحسن مما كانت عليه من قبل ... وانتظر الربيع والانتاج .

ورأى نفسه معمرا جديدا ، معمرا صغيرا لا محالة ... يعيش عيشا محترما . ويقول :

- الاستقلال نعمة ولا شك !!

ولكن الاحلام ولت وانتهى التعاقد وطرد من العمل ، لانه لا أرض له ...

ووضعت الارض للبيع ...

واشتراها نائب مجلس الأمة بالجهة ... لم يكن في حاجة الى تلك الارض أبدا . كان أغنى انسان بالمنطقة ، ولكن الارض المعروضة للبيع كانت شاسعة وكان الثمن باعضا ، وقال اغنياء المدينة ممن هم دون النائب ثروة :

– هو لها ، لا يستطيع امرها إلا هو ، وله الخبرة والتجربة ثم المال .

ويضيفون :

– المال : سيد الرجال !

ويتذكر الاستقلال . ويتذكر ما يقال عن تلك المرأة المسكينة الجاهلة وقد ارتمت تقبل رجلى المعتمد وتتوسل اليه أن يعلمها متى سينتهى الاستقلال ؟ إنها ما عرفت السعادة منذ ذلك اليوم ...

وتعجب من نفسه ..! أ يصل به الجهل أن ينكر نعم الاستقلال وهي كثيرة ! إنه ليس بجاهل ، ثم هو يعلم أن الاستقلال كان نتيجة تضحية واستشهاد !..

ويزداد غضبه وتزداد ثورته ، ويقول في نفسه :

« ذهب دمهم هدرا ، إنهم ضحوا من أجل طرد الاجنبي والمعر ... وحسنا فعلوا ... ولكنهم لم يعلموا أن معبرين يجدوا سيحلون مكانهم ... »

ويعدد المعبرين الجدد هؤلاء الذين نسوا ماضيهم النضالي وخصصوا وقتهم وجهدهم لتكديس المال ، هؤلاء الذين أنشروا على حساب الاستقلال ... وهو وعشرات أمثاله دائما كما كانوا من قبل الاستقلال ... لا أرض ولا عمل ... وأقسم في قرارة نفسه :

– لا يمكن أن تدوم هذه الحالة أبدا !

جلول عزونه

المحلة الأخيرة

- I -

أفاق صباح ذلك اليوم على الساعة الحادية عشر ، والكسل لا يزال مستوليا على أعضائه ، وحلاوة النوم تأتي أن تفارق عينيه .

فى الخارج يوم صحو جميل ، أرسلت فيه الشمس أشعتها الدافئة على أرجاء المدينة المترنحة الشملة بخمس أيام العيد .

كانت البارحة ليلة الخامس والعشرين من ديسمبر ، ليلة يصخب فيها المسيحيون ويضطربون ، ومعهم كل شباب المدينة من أى ملة كانوا ، والشباب لا ينظر كثيرا فى أنواع المناسبات ، لانتهاز الفرص ، واقتناص اللذات .

وفتح النافذة قبل أن يرتدى ملابسه ، وأودع صدره للهواء الجديد . وأسلم بشرته لاشعة الشمس تدغغها بحرارتها اللذيذة . لكن سرعان ما انتهى السحر . وعاد إلى التفكير فى الواقع الحاضر ، وهل يمكن الهروب من الواقع ، وهل يمكن الافلات فى الغد ؟ انه لا يفكر بالغد دون قشعريرة خوف وأمل ، أمل ان يكون ذلك الغد هينا لنا ، متناسقا مع الرغائب التى ولدت قبله ، او ستولد معه

وتذكر انه ليس الآن سوى عامل بسيط ، يتقاضى مرتبا زهيدا فى قرية بعيدة .

الآن ! . لانه يرفض ان تستمر هذه الحال طويلا ، ويأمل أن يكون غده باسما ، وحياته فيه مزدهرة منعمة .

لذلك تراه ينتهز كل فرصة للسفر الى العاصمة ، لابساً احسن ما عنده من ثياب ، حاملاً كل ما يملك من نقود ، وصدره يزخر بالاحلام . واليوم الذى يصرفه فى المدينة ، لا يدعه يمر خاوياً ، بل يستغل كل ساعة وكل دقيقة فيه ، ليظهر بمظهر الشاب الانيق النبيل ، الذى اغدقت عليه الحياة ما يستحقه من متع ومسررت - ولا غرابة أن يخدع الناس بذلك المظهر ، حتى الذين يعرفونه منهم ، حتى اخصاصه صديقاته . لكن الغريب هو أن يخدع هو نفسه ، فيلعب دوره فى الحياة ، كما لو كان على الحشبة ، مقتنعا مختاراً ، لا مرغماً ، كطبيب مولير ! لكن ذلك لا يمنعه من العودة الى الواقع فى الوقت المناسب ، كما أن الواقع لا يمنعه من أن يرتدى الخيال ، بالسهولة التى يرتدى بها قميصه !

- 2 -

ولما لم يبق غير نصف ساعة على السفر ، حمل حقيبته الصغيرة والمعطف القديم الذى يخصه للعمل ، وقصد فى الكوالمحطة القطار التى يحبها فى المحي ، ولا يحبها فى الذهاب !

كانت العربى مزدحمة بالسافرين ، فاختار مقعداً فى الركن الذى على الباب ، ومكث ينتظر تحرك القطار ، يفكر فى العمل الموهق الذى ينتظره ، والقلق الذى سيلازمه مدة اسبوع .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ومضت ثوان ، ودخل آنذاك رجل مسن ، يحمل حقيبة ، وصعدت باثره سيدتان تبد واحداهما زوجته ، اما الثانية ، فلا يستطيع التاكيد بانها ابنتهما كل ما تحقق منه انها جميلة ، جميلة جدا .

وعند ذلك بدا له السفر محبباً ، والاتعاب التى تنتظره خفيفه ! وجلس الشيخ وزوجته على مقعد فى ناحية اليمين ، وجلست الفتاة بجانبه ، حسناً جداً ! انه يحب هذا الوضع على غيره . لقد كان يختلف كثيراً ، لو جلس الوالد بجانبه ، وجلست الفتاة فى الناحية الاخرى ، مع أمها ! ولكنها السفر تنقضى فى الملل ، خالية من المغامرات ، والاحاسيس اللطيفة ، والاحلام الشيقة !



وتحرك القطار ، وأخذاً بهتز ، ويميل بلطف على جانبيه ، كأنه يرقص فرحاً فى جريه الى موعد مجهول !

وأحس أن الدفء بدأ يتسرب الى جانبه الايمن ، وقد التحم بجانبها الايسر ، وانه فقد الوعي والحركة !

ووقف القطار في المحطة الاولى . وارتفعت عيناه حتى قابلتا عيني الفتاة فرأى منها استحسانا ، ودعوة غامضة . ثم رأى يدها تنتقل وتستقر على المقعد بينهما ، تحت المعطف القديم !

وارتفعت يده بدورها ، في حركة آلية ، وقعت على يدها ...

لم يكن يعهد في نفسه هذه الجرأة ... لم يجد وقتا للتفكير والاندهاش ، بل كان الدفء والانتشاء يملآن آنذاك كيانه ، ويخالطان عقله - وأخذت أصابعه تتحسس أصابعها في بطنه ، ولطف .. كأنه في حلم !

عجبا ، كم يحلو للصدف أن تعبت باهواء الناس ، وتلعب بأفكارهم وشعورهم في أغرب الظروف !

كان يحس في قرارة نفسه أن هذا التصرف مخجل مهين ، وانه يناقض أبسط قواعد التربية والاخلاق . وأن مجرد التفكير فيه ومحاسبة نفسه عليه ، يخالفان مراة في حلقة ، وتأنيا غنيقا يقرع في أعماق ضميره - ما هو الدافع الغريب القاهر الذي أخرج كل الاصوات ، وجعله يرمى ظهريا بكل ما أثبتته التربية والاخلاق والمبادئ والعادات الموروثة في نفسه ، ويستجيب لاندفاع طارئة ؟

وتذكر البيت الذي تعلمه في الصغر :

وخالف النفس والشيطان وأعصهما

وإن هما محضاك النصح فاتهم !

لكن يده تابى أن تطلق فريستها !

ما الذي يجعل روعة اللحظة ، وغليان الرغبة ، يطغيان على كل المشاعر الاخرى ؟

انه لم يكن متطرفا ، ولا متعصبا ، كان يرى نفسه في مستوى وسط مناسب معقول . يؤمن بالآخرة ، ويخشى عذاب النار ، وفوق كل ذلك يخاف وخز الضمير !

لقد كان يتحاشى فى التفكير فى علة الدين ، واسباب أوامره ونواحيه ،
ونصيب التقاليد منها ...

هل ان حجاب المرأة - مثلا - ، وسجنها فى البيت ، وحجر الاختلاط بها
وحظر النظر اليها والتخاطب معها اركان اخلاقية اساسية لازمة لبقاء الحياة
النظيفة النزيفة ، وضمان السعادة والاعتدال للمجتمع ؟ ام ان تلك مرضى
عضال ، افشاء الجهل ، وقام على حراسته وتمكينه القروور والاستبداد على مر
القرون ، منذ عصر المؤودات ، فاستعصى على كل علاج وتقويم ؟

لا يريد ان يقف طويلا عند اسباب تلك الحواجز المنيعه التى دعمتها الاحقاب
وتوارثها الناس جيلا بعد جيل ، وقاموا على حراستها بكل صرامة ، يضربون
بكل قوة وعنق على ايدى العابثين ، الذين يحاولون تبديل تقاليدهم المقدسة
او تعديلها .

بل كان يستشعر فيها الكثير من الظلم والاعتساف ، والعديد من اسباب
الحيرة والاضطراب ، والتكاسل والتعثر والجبن ، واللجوء الى الخيال والخمر
والافيون ، والى صوت ام كلثوم المنون !

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لقد الم بنتف من علم النفس . وقرا عن الحظوة التى نالها هذا العلم الحديث
فى اوساط التربية والطب النفساني ، الذى يعلل سلوك الانسان ، بالغرائز
الخفية ، والرغائب الطبيعية المخبوءة ، .. وكان يحس احساسا مبهميا ان
تصرفه الآن مع هذه الفتاة اليافعة لا يرضيه ، ولا يرضى البنات ، ولا يرضى
احدا ، ... كان يحس انهما دفعا اليه دفعا دون وعى ، وان هذا الدافع نهم
شديد ، وحرمان مضمّن من الجنس الآخر .. ذلك الجنس المحاط بهالة من
الكتمان والتحرير ، والكبت والخوف .

حرمان يخجل التصريح به ، ويؤلم التفكير فيه ، ويختفى تحت اسماء
رنانة كالتسرف والعفة ... اما الحب ، فمن العار ان يذكر ان التصريح به
عنوان الدعارة والفجور !

ومن يدري ؟.. من يدري كم يخفى هذا النفاق من فضائح شنيعة وجرائم
فظيعة ؟

كانت هذه الهواجس تتوارد على ذهنه .. عندما وصل القطار الى المحطة الثالثة ، ويدها لا تزال فوق يده ، وكأنه نسيها . وكان يجلس في الطرف المقابل رجل في الاربعين حليق الوجه ، مرتديا لباسا شعبيا . وكان كثير الحديث ، سهل النكتة . فشغل انتباه مجاوريه بحكاياته المرحه ، وهذيانه المتواصل ... ماعدا اثنين شغلها عنه شاغل ، وای شاغل ...

وانتبه مرة أخرى الى اليدين .. يده فوق يدها ، تحت المعطف القديم ، الملقى على ركبتيه ، والى الدفء المريح الذي تفشى في جسمه من هذا التلامس . وأحس بالحاجة الى ترتيب أفكاره ، وفحص مشاعره ... ان يده الآن تضغط على يدها اللينة . هل هذا الجو الذي ارادته الصدفة ، وهذه اللذة العاجلة الاثيمة التي يختلسها من الحياة ... هل هي واقع محسوس ، أم أنها من الاوهام التي تساور الفكر ، وتخضع الشعور ؟ هل انها في الحالين تؤلف جزءا من حياته ، وتعتبر بعضا من شخصيته وانسانيته ؟

واذا كانت كذلك ، فهل هو اذن شاب يفكر ويحس ، ويتطلع الى مستقبل شريف نظيف بكل قواه وإيمانه ؟

نعم ، انه الآن حي ، وحياته حقيقية ، لا يشوبها شك أو غموض ، .. حي ، لكن حياته ثقيلة ، جوفاء صباحها كمسائها ، غدها كأمسها . حي ، متألم تارة ، مذنب طورا ، يحاول أن يتخذ من ضعفه ، ومن الاجواء والالتباسات المحيطة درعا تقيه من تآنيب الضمير ، وتخفي خجله عن نظر المجتمع الفاحص الشديد!

حي ، وفي صبح الحياة ، لكنه يحس أن ماء الشباب يجف في عروقه شيئا فشيئا ، يوما بعد يوم ، وأن وجهه لا يكاد يعرق الا بتسام . حي ، يتمشى في دروب الحياة ، ويتعثر في صخورها - يمشى ويتصفح الوجوه فلا يرى غير العبوس والجفاء والشقاء - وقد يسمع بعض الضحكات ، لكنها تنعكس في نفسه قهقهة كاذبة مفتعلة تشبه الصراخ !

وتتابعت المزارع والمباني امام عينيه ، وهو في شبه غيبوبة . وتعددت المحطات التي وقف فيها القطار كأنه يستعيد اثناء راحته فيها بعض الشواني نصيبا من القوة والنشاط .

وتذكر فجأة أنه نسي أن ينزل فى المحطة الخامسة ، حيث كان يلزمه النزول !

لكن ذلك لم يزعجه كثيرا ، فقد كان فى إغفاءة لذيدة خدرت أحاسيسه ، وتخللت كيانه بحرارة دافئة مريحة ، وسرى هذا الدفء اللذيذ الى أفكاره .

فنسى أنه شاب فقير يقف على باب المستقبل فى حيرة وذهول . وانتبه اذذاك أن داعى المادة فيه قد ركذ - وأن التهاب الشهوة قد خمد وتبخر ، - وأن يده امسكت بيدها .. وأصابعه تخللت أصابعها فى شوق وعطف روحيين

وعادت به الذكرى الى حصة جميلة من ماضيه ، والى فتاة حبيبة ملأت زواياه بالعطر والحنان . لكنها ما زادت على كونها أمنية لا تدرك ، وهدفا بعيد المثال .. فقد كان اذ ذاك طالبا معذما .. كثيرا ما بات على الطوى . والتفت الى عينيها الجميلتين ، يسألها بعض العطف ، وقليل من الرحمة وأحس أن عينيه ، وهما تفحصان عينيها . وتمتلآن بالدموع ، لما رأى ابتسامة خائفة تجول على محياها . وقرأ فى عينيها الحالمتين نداء ، أجل له بعض أسرار روحها الخفية .

وتفرس فيها أختا فى الآلام ، تعذيبها الوجودية ، وترعبها فى السهر المرأشباح الليل . ودلو يكلمها من أعماقه .. أحس أنه يكاد ينفجر !

أحس أن حاجته للتعبير أشد من حاجته للهواء المنعش .

وفهم عندئذ أن التقاء يديهما العفوى من بداية الطريق لم يكن سوى انفجار لتلك الحاجة المتراكمة .

ماذا يقول لها لو أتيح لهما التكلم ؟ لا يعلم .

كان يعتقد أن ذلك لا يهم ؛ فالمهم هو أن يرفع الستار الاسود الذى يحجب دقائق نوعيهما عنهما ، فيتكلمان .. يتكلمان ...

وقد يؤدى الحديث فى النهاية الى الحب !

الحب . عجيب كم تتردد هذه الكلمة على أفواه الشباب ، وتراود قلوبهم فى كل مناسبة ، وبدون مناسبة ، كأنها أعظم جزء من شعورهم ، أوكله . لقد

اعتبر الحب فى بعض فترات حياته أفيونا ماحقا للقوى ، ومخدرا خطيرا يبدد النشاط ، ويحول مجارى الحياة عن سبيلها المنطقى السليم .. لمس هذا من تجاربه العديدة الفاشلة غالبا ، فى ميدان الحب . تلك التجارب المتعثرة التى كانت تخدع بصيرته .. تبنى له دنيا من الاخيلة الواعية .. وتهدمها بعد حين ، تاركة اياه جالسا فى الطريق ينظر الى الاحلام تتلاشى ، والى منى الماضى وبديع صوره تضمحل كالسراب ، يحسبه الضمان ماء .

لقد تجرع - ككل الشباب - من الحب جرعة اثر جرعة ، تعقبا من كل مرة مرارة دائمة فى الحلق ، وحزن مقيم فى الفؤاد .

لكنه ظل يندفع بالرغم من ذلك ، كنما يرى خيالا ثنيا ، وعينين ساحرتين... مع العلم أن المراقيل ستمنعه ، وترجعه قبل الهدف بخطوات قليلة ! فهل كانت تلك التجارب نزهة فى حقول الحب ؟ انها تبدو له الآن تجوال قلب عطش لاهث فى مزرعة مهملة جرداء .

وهاتان العينان اللتان هما امامه الآن ، وهذا القدر الطرى ، الذى يفسر اعضاءه بحرارته الجديدة .. ماذا سيكون اثر ذلك فى حياته ؟

علمته الحياة ان لا ينتظر كبير نفع مما تتيح له الصدف من فرص .

كان الفشل اول ما يتصوره فى مثل تلك المواقف ، كان نفسه تعودت عليه وكان خياله لا ينصرف كثيرا الى اودية الاحلام دون ان يتزود بالخبرة !

أخذ يسائل نفسه : ما الذى يمكن ان ينتظره شاب له ماله فى المشاغل ، من أية فتاة تضعها الصدف فى طريقه ، فتتعلق بها أمانيه ؟

انه لا يرى أكثر من حلين : طلب الزواج ، أى الاستقرار فى وضع كيفما كان او الانسحاب .. اما ما بينهما ، ففراغ ، وخداع .

الزواج ؟ شئ حسن ، لو أنه يوافق حسابه ، ويدخل فى نطاق مداخيله الضئيلة . انه كلما فكر فى ناحيته العملية : ينتهى الى هذه النتيجة : « النساء غاليات فى بلادنا ! » وهل ان السعادة فى عرف اهلها تتحدى الاعتبارات المادية

البحثة ، كميلج المهر ، ومصاريف حفلة الزفاف ، وتاثيث الدار .. والذهب..
هذا المعدن الخلاب الذي تعبد به النساء عندنا ، ويمتته الرجال !

ثم من أين جاء الخطيب ، وكم مرتبه ، وهل له املاك ؟

وهل يتصور أحد ان يقدم شاب لا يملك سوى الطموح ، على خطبة فتاة لا
يعرف أهلها ، ولا يعرفونه ؟

هل يمكن أن يفعل ذلك ، بدعوى أنه رآها ، فأعجب بها ، فأحبها ...
« فسلام ، فكلام ، فموعد ، فلقاء » ؟

لم يبق اذن الا الانسحاب !

ونظر الى صديقة الصدفة بكثير من الاسف والحزن .

من يدري فيما تفكر هي الآن ؟ لعلها تبني على ما بدا منها من تسرع والتهاب
- اول الامر - ما يوافق وجهتها في الحياة ، وما تحلم ان تكون عليه هذه
الحياة . الاحلام ملجأ الضعفاء الاخير .

او لعلها تريد أن تنتهر القرضة السانحة ، بكل طاقتها المكبوتة ، وعنفوانها
المخنوق ، فتسجل في دفتر اسرارها أطوار مقاومة قصيرة صامتة تستعين بها
على اجتياز مصيرها المجهول ؟

لا ... لن يدع خياله فرصة أخرى للهروب . وسيطوى هذه الصفحة
وينساها ، قبل أن ...

وقف القطار ، وأعلن الموظف أنها المحطة الأخيرة

وشاهد أهل تلك القرية سائحا غريبا ، يرتدى معطفا قديما ، بيده حقيبة
صغيرة .. يمشى وكأنه يلاحق رجلا وأمرأتين .. تأخرت أحدهما وتمعدت
الاناة والالتفات ، حتى لا يغيبها عنه الظلام %

الهادي مشكان

تونس

ضياء قصبجى فى « العالم بين قوسين »

● الادبية السورية « ضياء قصبجى » . تبادر القارىء العربى بمحاولتها الاولى فى القصة القصيرة فى « العالم بين قوسين » التى صدرت عن - دار الاجيال - وقد صمم غلاف كتابها الفنان مصطفى ارنؤوط ، وهو يقع فى 143 صفحة .

● فى هذه المحاولة لفهم مبادرة ضياء قصبجى ، وتحليلها وفق المنهج الفنى للقصة القصيرة سنعطى بعض الآراء كالاتى:

● تختلف موضوعات المجموعة وقصصها القصيرة باختلاف الشكل ، والمضمون ، وفى الغالب تبحث كل القصص تقريبا عن متاعبات الانسان المعاصر ، من خلال نماذج تنطلق من حيث الاساس من الحيال الممتع ، والواقع الممزوج بالاغتراب النفسى ، وطبيعة التحول عند العديد من ابطال (العالم بين قوسين) . وكما ساستعرض هناك عناوين كثيرة . مثل ، الطوفان . من بعد لحظات ممتعة - وعكس الاشياء هو الصحيح . فى المدينة الدخانية - الحقيقة . فى حارق التبغ - تصورات .. خلف ستائر ومادية - حديث الاشياء .. فى قبو الزمن - قد تزهو الرغبات - أصبح النوم خرافة - ترخص الحياة .. أحيانا - شئ ما .. فى سلال المهملات - العالم بين قوسين - ارفعن . فى طريق غير مشروع - رقم .. واشارات الزائد والناقص - الى غير ذلك من العناوين التى تبدو طريفة ولم يسبق استعمالها فى قصص قصيرة ، من حيث طول العنوان ، الالدى الكتاب الاجانب .

● وللوقوف على طبيعة القصة القصيرة عند ضياء قصيحي لا بد من الإشارة الى ان اللقطة عندها ليست عابرة ، فهي تأخذ من خلال التعبير عنها بوسائل فنية جد مجبوكة .. نأخذ - مثلا - قصة الطوفان ، ففيها اعتمدت الكتابة احيال للتعبير عن غربة الانسان عن نفسه ، وتداخل عدة احساسيس متناقضة للبحث عن الضياع . وهذا في منولوف (أى حوار داخلي) بواسطة نحاوّر الحدث القصصى . كما سآبين ذلك .

● وقصة الطوفان . من بعد لحظات ممتعة ، تصافحت فيها سحبآت كثيرة ، خيال الكآتية ، الواقع المتناقض ، الاصطدام بأشكال عديدة بشعة فى عصر الاغتراب ، والضياع .. من ذلك ما تفرضه هذه اللقطة :

« لا أحد يعلم ان الانسان تستهويه ذكريآت العذاب .. مثلما تستهويه ذكريآت المتعة . أم أكثر . حقا ، لقد مللت النجمة المآلكية الصامآة ، ورغبآ ان تعيدنى مظآتى الى مكآنى واحساسى عندما كانت المتعة تغمرنى ، وآنا وحيدة فى الليل ، قابعة تحت مظآتى الحمراء ، وزخآت من المطر .. »

● حين يقرأ الباحث العديد من قصص (العالم بين قوسين) تستهويه الافكار التى تأتى بشكل حوارى يعكس الاآقلاب المفاجىء للمفاهيم ، ومن خلال درس مستفيض لمضامين هذه المجموعة سواء فى قصة : « عكس الاشياء هو الصحيح . فى المدينة الدخآنية » التى طرحت فيها الكآبة الافكار بشكل متعمد لا يركز على أى تركيب ، قد يبرزه الموضوع المطروق فى هذه القصة بالذآت « عكس الاشياء هو الصحيح .. » فهناك سعى حثيث نحو لقعة العيش بأى وسيلة .. وافتكآك الحياة من مخآلب الحروب بأى ثمن ...

● أو حين نتناول قصة « الحقيقة . فى حارق التبغ » ومن خلال آدوات التفكير أيضا ، نجد دعوة صريحة لفضح الانآنية التى أصبحت مسيطرة ، من بين الآفآت الآخرى التى تتجاذب المجتمع المعاصر ، وهناك أيضا ظآاهرة التشرّد الرهيب ، والظآاهر المختلفة لانمآط هذا المجتمع المتكآلب على المآدة ، وفيما يلى لقطة من هذه القصة :

« فكرآ بأولئك الذين لا يملكون مأوى حقيقىآ ، وقاسيت معهم بعض عذابهم ، ولكن ، مهما عآنينا مع الآخرين وتعاطفنا ، فآنا لا نأخذ من المعانآة

الا الصور السطحية ، اما الاحساس الصادق بالعذاب فلا يؤثر فينا الا عندما نصاب شخصا .

● اما القصة الرئيسية التي تسمى المجموعة بها « العالم بين قوسين » فقد طرحت أسئلة كبيرة بواسطة فك العقد النفسية المسيطرة ، والافكار المحشوة مسبقا ، ورخص القيم وهزالتها ، الى غير ذلك من المضامين ، واستعرض اللقطة التالية :

« ... قال : بعضهم يقتل بعضهم ، قلت : نعم ، قال : المادة هي التي تشتري القيم ، قلت : نعم ، قال : اذن المادة حانوت تباع فيها درر النفس ، قلت : نعم ، قال : هناك من يموت من أجل الحياة ، قلت : وأيضا ، قال : هناك من يتلذذ بالنقود ويقتل ضميره برصاصة محكمة من يده ، تذكرت . قلت له : كفك ثرثرة ، قل لي : هل تركتك من كانت تحبك ؟ قال : شيء من هذا القبيل ..؟ »

يبدو للدارس ان هناك تحليلا لظاهرة الخسوف الشائدة في القصة بشكل بارز ، وقد يبدو ان ذلك من مستلزمات الاسلوب الواقعي ، طبعا ، نحن نختلف في الممارسات الشكلية وحتى من ناحية المضمون ، فلكل أسلوبه في ولوج هذا التيار او ذاك ، لكن على الاقل هناك اتفاق ضمنى في التعامل مع - الاسلوب الواقعي - اذ لا بد من الاطلاع على النوع الكلاسيكي - وان تجاوز الزمن - والقصص التي تتعامل مع الحيال والواقع في نفس الوقت (كما هو الحال في - العالم بين قوسين - اى أن تكون الشخصية القصصية قادرة على الغوص في الماضي والحاضر والمستقبل ، لا مجرد وضعها كلوحات تنفصل عن بعضها بعضا حين نفتش عن الوحدة العضوية التي تربطها ، جزئيا او كليا ، وهذا ما نسميه بالشكل والبناء القصصى .. اذ ارى ان - ضياء قصبجي - قد اعتمدت طريقة (اللقطة العابرة) بواسطة السرد مرورا بالطابع الرومنسي ، ولم يخل السرد من تقريرية جافة في بعض القصص ، اذ اعتبرت كمادة سطحية لحوادث لا لقصص تتطارع بعض الافكار ، وقد وفقت الكتابة في جمعها بين الحادثة والفكرة ، لكن عن طريق حوار طغى عليه الاسلوب الفلسفي ، والتقريرية للبحث عن صور بلاغية جميلة ، وتراكيب تتابع بعض المواقف كما في (الطوفان . من بعد لحظات ممتعة) و (عكس الاشياء هو الصحيح . في

المدينة الدخانية) و (الحقيقة . فى حارق التبغ) وان كانت بلفسة مبسطة ، وبمراجعة جذرية للمشاهد كما فى (العالم بين قوسين) التى هى رؤية جديدة للواقع من خلال نقده وانتقاده . فى طرافة فنية .

● كما يبدو ان لغة (العالم بين قوسين) فيها كثير من تأمل الذات ، لمتابعة المواقف ، لكن ليس من الناحية الفنية ، فالتعمق موجود حقا فى - خلفيات الابطال - فى محاولة جريئة من الكتابة للتعبير عن كشفه وطرحه فكريا ، وهذه رؤية جديدة للواقع تندرج ضمن اطار التيار الواقعى الحديث . كما استعملت الكتابة بنجاح - وفى أغلب القصص - أسلوب الحوار الداخلى عن طريق نقاش الشخصيات القصصية فيما بينها لكن بأفكار متلاشية لا تقوم على أى تركيب عضوى ، وقد يكون هذا يعتمد من الكتابة ، ويتضح هذا فى (ترخص الحياة . أحيانا) التى تعالج الشيئية من خلال صمت النفس ، وبرودة المواقف ، والحيرة السائدة التى تلاحق بطل هذه القصة والتأرجح بين موضوعات عديدة فى قصة قصيرة مثل ، الموت ، والحرب ، والحيرة كتدمير فكرى - كما حددتها الكتابة - وبواسطة الاكثار (من النقط بين السطور ، أو افرادها بسطور بارزة) وقد كثر هذا الاستعمال اليوم فى القصص الحديثة ، قد لا أجد له ما يبرره فى قصة دون أخرى ، اذا سلمت بجذواه كاسلوب ما ، لكن لا أستطيع فهمه أن تكرر بصورة ملفتة للانظار ، وغير مرتبطة بأى شكل من أشكال الكتابة القصصية أو حتى بالحوار الباطنى الذى قد تبرز من خلاله بعض العقد عند بعض ابطالنا القصصية للترويح عن النفس ... على كل . هذه قضية مطروحة للنقاش كما يبدو لى .

● ان تجربة ضياء قصبجى فى (العالم بين قوسين) تبقى بخصائصها الفكرية فى أعماق ما تتركه هذه المحاولة من لمسات البحث عن الإنسان الحديث للخروج من دائرة الحصار المفروض عليه ، ازاء بعض العادات والتقاليد ، الى عالم أكثر جدية وطمأنينة نفسية . وهذا فى حد ذاته كسب تحققه ضياء قصبجى لو نتخفنا بما بعد « العالم بين قوسين » .

يحيى محمد

الجائزة

بلغه أن نتائج المسابقة الادبية ستطلع على الناس غدا .. سيجدون اسمه ولا شك .. سيتساءلون من يكون .. ستتهاطل على سمعه أسئلة المعجبين ورجال الصحافة .. سينال الجائزة المالية ، وينهى جميع مشاريعه ، طلب منه ابنه الصغير كرة وابنته دمية وزوجته حليا .

وفكر قليلا : لقد خرج الاعلان عن المسابقة في يوم شتائي .. دخان سيجارته تعالى في الفضاء .. دوامات الدخان تكاثفت .. اضطرب في قعدته .. لم يبق الا اربع وعشرون ساعة على صدور نتائج المسابقة .. الاعلان عن المسابقة لا يلتفت اليه الناس .. شروط المسابقة لا تحملها بعضهم .. الاجل لتقديم الانتاج لم يكن كافيا : عشرون يوما فقط ، ستون علبة سجائر حلوزي ، مائتان والف سيجارة سحب من الدخان ، عرق ، اعصابه متوترة ، أرق ، امرأة محرومة ، ضجيج الاطفال ، الرواية تامة الشروط أن لا تكون نشرت من قبل وأن تتحدث عن جدوى التعاضد ومزاياه - وأن تصل الى اللجنة الثقافية التابعة لـ (.....) في أجل لا يتجاوز كذا وكذا من الشهر . الشروط تامة ، البطل بلا رأس ، البطل له أربع أرجل وعين واحدة وخمس أيد وست بطون ، وضمير صفر ، وعقل أعشى ، البطل الثاني يجيد اللعب على الحبال .. أنا وأنت وهو وهي (فعل أجاد يجيد في المضارع) البطل الثالث غفريت ارقط .. كن ذئبا والا ... دوامات الدخان تتعالى في سماء الغرفة الضيقة ، الذباب يطن طنين ذباب الجاحظ على أرنبة انف القاضي ، حشرات البيت تقرص الاطفال ، وأيدي المرأة تبعثها في طيات جسمها ، وتعود بصيد وفير ، وأشياء تتساقط من السقف غبار أسود ، وأعين الاطفال الثلاثة يحملون بالكرة والدمية وأهم

بالمصوغ وأصابع الكاتب ترتعش وبينها سيجارة .. لقد اصفر اصبعاه ،
أسنانه ، تمرحض صدره .

لم يبق على اعلان الجائزة الا عشر ساعات ، سيقوم باكرا ويشترى
الصحيفة ، سكتب في الصفحة الاولى ... سيجد اسمه في الجريدة ، الجائزة
الاولى نالها فلان عن قصته الطويلة ، لا يذكرون انه كتبها في عشرين يوما
فقط ، ووقودها ستون غلبة سجائر من النوع الردي ، وكتبها بين ضجيج
الاطفال وحرمان امراته ، كانت تنظر اليه ولا تتكلم ، الحياء من الايمان ، لقد
كسب امرأة وعليها الكلام ، كسب كتلة من العواطف المتأججة ، بركان ثائر
خصب ، بركان صامت ، الصمت ، بإشارة واحدة منه تموت ، ترقد ، تخرج
تأكل ، تنظر ، تنتحر .

ثمانى ساعات على صدور الصحيفة - مصفف حروف الرصاص يقرأ اسمه
بصعوبة ، مصفف حروف الرصاص مصبور فقط ، النسخة الاولى ، امام
المصحح - المصحح يتثبت بعض الاخطاء ، ويبرزها خارج السطور - النسخة
تعود الى مصفف الحروف ليصلح بعض الاخطاء ، لا شك ان المصفف قد نسى
نقطة من نقط اسمه ، النسخة الاولى تعود النسخة أصبحت صحيحة ، المصحح
بدأ يغط في النوم ، للمصحح يأذن بطبعها ، وهو راقد « صالحة للجذب » .

أربع ساعات تفصله عن بزوغ الفجر ، السجائر تتعذب بين يديه ، أصابعه
تحترق ، زوجته تتحرق شوقا الى .. ابنائه يحلمون ، يتكلمون وهم نائمون
الحشرات ترتع بحرية فى طول المنزل وعرضه صداع فى رأسه ، الصداع
يهبط الى جبهته ، الصداع وصل الى عينيه ، دوار فى رأسه الارض تدور ،
الارض تدور ... الارض ، يصرخ من أعماقه لقد نجحت فى المسابقة الجائزة
الاولى - استيقظ من الاعماء . نسمة رقيقة ، داعبت شعره جففت عرق
جبهته ، أحس بارتياح .. قام ، غسل وجهه ، الشارع يناديه بانح الصحف
يناديه ، اسراب من المرضى تقصد المستوصفات ، اسراب من المعوزين يركضون

فى الشارع الطويل خفاف البطون ، يركضون نحو المجهول ، والقطط تموء ،
تبعثر القاذورات ، وبقايا السادة .

بائع الصحف ليس بعيدا ، تستطيع أن تقول خطوات او امتارا . الفجر
على الابواب والكاتب يتعثر فى خطواته ، اعترض سبيله البطل بلا رأس الف
مرة ، نسي مكان بائع الصحف ، تبهذل ، النوم يداعب اجفانه وجد بائع
الصحف بصعوبة ، اشترى صحيفة ، اخذها بيدين مرتعشتين ، حروف سوداء
تترأى امامه ، الفجر ولى ، الشمس بزغت ، ما زالت اسراب القطط تركض ،
تبحث عن شىء لم يوجد عربات القاذورات ترغى وتزيد ، ووراءها اصحابها
بجمازاتهم وسراويلهم الزرقاء ، وجوه كالحة ، وجوه سوداء الحروف تتراقص
اخيرا وجد الاعلان عن نتائج المسابقة ، اللجنة الثقافية تناسف لان احدا لم
ينل الجائزة فى ميدان القصة لرداءة الانتاج .

طوى الجريدة ، اخفاها فى جيب بنطلونه ، عاد مسرعا الى المنزل ما زالت
امراته نائمة ... نسى نفسه لحظات ، رجع الى فراشه ونام وهو يحلم بالحصب
ونسى الجائزة والكرة والدمية والحل .

على العربي

« نوافذ السرداب »

قصة ليحيى محمد - تعالج الاغتراب والحيرة
تطلب من (نادى القصة) مباشرة

الثمان 700 م. مع تخفيض قدره 40 %

مشكلة الجنس في قصة «عواصف الخريف»

تأليف : عبد الرحمان عبيد

1 توطئة

ان « الجنس » جانب طبيعي غريزي في الإنسان ، بل هو أساس وجوده واستمراره فهو حاجة جسمية ونفسية ، لا يمثل في الحقيقة قضية ولا مشكلة. على أن نظرة مجتمعنا - إلى جانب مجتمعات أخرى مشابهة له عبر أنحاء المعمورة - تجعله مشكلة معقدة أكثر ويكثر حولها النقاش والخصام ، وتعددت الاحاديث والمقالات ، وتناقضت الآراء . وما على الإنسان إلا أن يطالع ركن « صدى المحاكم » في الجرائد اليومية لتبهره كثرة قضايا الاعتداء على النساء واغتصاب الفتيات والزنا والبغاء السري ... وما عليه الا ان يقوم بعملية احصاء للأفلام المعروضة عليه المهتمة او المستغلة للجنس ، ليدرك عمق هذه المشكلة ووجوب النظر اليها والبحث فيها ، لضمان توازن الفرد وسلامة المجتمع ، في عصر سريع التطور كعصرنا ، وبلد في طريق النمو ، باحث عن سبل التقدم كبلدنا. ولا غرابة اذن أن يهتم أديب تونسى معاصر بهذه المشكلة التي اهتم بها البعض ، وتناستها الاغلبية بادعاء أنها زائدة ، أو زائفة ، أو محرجة أو مخجلة ، أو حرام ... وقد نسى هؤلاء أن الدين الاسلامي قد تناول جانب الجنس في حياة الانسان باعتباره أساس النسل بصراحة تامة ، قليلة النظير فكيف تناول عبد الرحمان عبيد هذا الجانب في قصة «عواصف الخريف»؟

2 - مدى اهتمام الكاتب بالجنس :

لو قمنا بعملية للصفحات التي ذكر فيها أحد جوانب الجنس في الكتاب

لوجدنا ضخامتها : (8 - 16 - 19 - 23 - 24 - 28 - 31 - 32 - 33 - 47 - 52 - 58 - 59 - 61 - 62 - 63 - 65 - 66 - 67 - 68 - 70 - 72 - 73 - 74 - 77 - 83 - 85 - 86 - 87 - 89 - 91 - 92 - 94 - 95 - 97 - 98 - 99 - 102 - 105 - 107 - 111 - 112) فهناك اثنتان وأربعون صفحة قد خصصت جزئيا أو كليا للحديث عن هذه الناحية ، من كتاب يضم مائة وعشرين صفحة .

واعتقد أن الكاتب أراد بذلك اشعارنا بفداحة المشكلة وخطورتها .

3 - من يمس الجنس ؟

لقد لمس الجنس ، بالسلب أو بالإيجاب ، كل طبقات المجتمع ، وكل الافراد مهما كانت أعمارهم أو مكانتهم .

أ - الفقير : « سمير » بطل انقصة ، أثناء دراسته الثانوية ، يقول : « مما تمتعت به في المنستير من المكتبات ، والحدائق ، والنزل ... وفتيات المدرسة والمصنع والادارة ودار الخياطة رفيعة ... » و (ص 19) .

ب - الغنى : حين أصبح « سمير » غنيا ، أصبح يتمتع بتعظيم الماكول الدسم الشهى ... والجنس الناعم العصري ... (ص 70) .

ج - الصغير السن : « جميلة » بنت الشيخ « عمر » لم تتجاوز سن الثالثة عشر (ص 95) .

د - الشاب : الطالبة « سهلة » (ص 87) و « محسن » (ص 92) .

هـ - الكهل : « وسيلة » الدلالة « وتلك امرأة تبدو في غضون السابعة والثلاثين » (ص 58) .

و - العجوز : المرأة العجوز « ثعلب » (ص 58) .

- الشيخ بائع الاقمشة : « أما والدى حاج بيت الله الحرام ... ولكن الجميلة الندية من زبائنه يدخلها المقصورة لتخرج منها بأنفس الشباب » (ص 67) .

ولكن ، ان لمس الجنس الجميع ، فما هي اثاره ؟

4 - نتائج العمليات الجنسية :

لقد كانت تلك النتائج سلبية الاثر على الاناث والعائلات ، فالفتاة السوسية « وسيلة » والطالبة « سهلة » والفتاة الصغيرة « جميلة » قد خسرن بكارتهن ، وبالتالي مستقبلهن كما اصبحن عبئا ثقيلا على عائلتهن في مجتمع تونسي عربي مسلم .

أما الذكور فهم دوما الفائزون باللذة وحرية الممارسات الجنسية ، وتنوعها . ويبدو جليا هنا تناقض في نظرة المجتمع الى الرجل والمرأة ، وسماحه للاول بما لا يسمح للثانية .

وان كان ذلك كذلك ، فما هي أسباب هذا التيار الجارف ، الطاغى يوما بعد يوم ، المؤدى الى الفساد والفوضى في ممارسة الجنس ؟

(5) الدوافع الى الفوضى الجنسية :

يمكن تقسيم تلك الدوافع الى نوعين أساسيين ، أولهما سياسي ، وثانيهما اجتماعي .

(1) - **الدافع السياسي** : يتمثل في الطبقة الاجتماعية ، فقد كان « سمير » وأصحابه الفائزون باللذة ، غالبا من الفقراء ، ولا حظ لهم في النساء الغنيات ولا في نوعية حياتهن ، ولذلك - انتقاما لانفسهم من وضعهم المزرى ، وثارا لحرمانهم من المتع المتوفرة لغيرهم - اصطادوا البنات البورجوازيات « فسمير » انتقم من الطالبة « سهلة » الغنية التي احتقرت صديقه « محسن » الفقير ، وكانت سببا في طرده من معهد القيروان ، يقول : « تركت الفريسة بين مخالب نمرها بفيلا النزل ثم عدت الى مواصلة السهرة ... » (ص 92)

(2) - الدوافع الاجتماعية :

أ - الجو العائلي :

لقد شاعدت الفتاة السوسية « وسيلة » استمتاع أبيها الشيخ وأخويها بالجنس خارج المنزل ، بل ان أخاها وصل الى حد استغلالها لتجلب الفتيات له فتقول : « ثلاثتهم يبيعون ما لديهم من أجل جلسة مع فتاة أو امرأة ، ولا سيما أخى الكبير ، فكلما حلت له فتاة استخدمنى لمراودتها واصطيادها له ... » (ص 67)

بينما تمنع هي من كل ما له علاقة بالجنس ، فتشعر بالحرمان وترتسى في أول فرصة بين احضان « سمير » وتقول له : وعلى كل فاني تقت الى المغامرة فلم لا أجرب « (ص 67)

ب - الجو السائد في المدرسة :

يتحدث « سمير » عن فتيات المعهد الثانوي ، فيقول :
« ذكي الكبت الذي يعانيه من الجو التربوي المتخلف في المعهد » (ص 32)

ج - سوء فهم الاولياء للاختلاط بالمدراس :

فأبر الفتاة « وسيلة » أصيلة القيروان قد أول علاقة الصداقة والزمانة بين

« محسن » وابنته تاويلا خاطنا ، وجعلها جنسا صرفا و « صاغ من كل ذلك عناصر حملته المفرضة على نظام الاختلاط في التعليم التونسي » (ص 84) .

وحين تذهب « سهلة » الى العاصمة لمواصلة الدراسة بالجامعة ، تقع بسرعة في فخ « سمير » و « محسن » وتعطيتهما بدون شعور فرصة الانتقام منها ومن أبيها .

د - الكبت الجنسي المتولد عن اجو العائلي والمدرسي والاجتماعي .

ولنا أمثلة على ذلك .

— فسمير بطل القصة ، مكبوت ، اذ هو محروم من كل ماله علاقة بالجنس في بلدته القصية ، ويصرح عن مغامراته بمدينة المنستير : « وهكذا انفتح لدى باب الحب واللذة العارمة واسعا وبدون أقفال نحو سنتين بدون انقطاع ... » (ص 33) .

و « جميلة » ابنة الشيخ عمر ، قد كانت : « جوعى للغذاء الجنسي ، فعل الكبت بها الافاعيل اذ كانت طول لقاء جسدينا هي المحرك المثير لذلك النشاط ،

قد استفادت مما طالعت من الكتب والدوريات الجنسية شيئا عظيما ...
(ص 112) .

ولذلك وجدت الفرصة لتطبيق ما تخيلته وتاقت اليه : « ووضح لي أن لقاءنا على السرير كان فرصة تستغلها الفتاة لتطبيق وتجربة ما طالعته وسمعته عن زميلاتها أو تكون شاهدته في بعض الافلام المثيرة ... » (ص 112) .

د - التمتع من الجنس :

لقد تطفن البعض الى امكانية استغلال هذه المشكلة الاجتماعية الحادة للتمتع منها ، فالعجوز « حنش » تجلب النساء والفتيات الى دارها وتسهل اتصالهن بالرجال ، وكذلك تعمل الدلالة « وسيلة » (ص 57) .
لئن تنوعت وتطافرت العوامل على جعل الجنس مشكلة ذات ابعاد نفسية وجسدية واجتماعية خطيرة ، فكيف صورها لنا عبد الرحمان عبيد في قصته ؟

4 - طريقة عرض المشكلة الجنسية :

ان كثيرا من القراء سيخرجون من مطالعة هذه القصة وخاصة ان كانوا ممن يتحاشى الحديث عن الجنس كعنصر طبيعي في الحياة ، وسيلومون الكاتب على هذا الكشف العارى لمفاتيح الانوثة وعذوبة الجنس وخاصة الحرام منه . ولعل مما يزيدهم تشددا في اللهجة اكنار القصص من وصف هاتين الناحيتين . ولناخذ مثالا لذلك ، اذ يقول في وصفه لجبيلة : « ترى ذلك فيما طغى به صدرها من اعجاز الخلاق في روعة الصياغة وصفاء المعدن ، وبراعة النحت ، في تموجات هذا الصدر وفي احكام تنسيقه ، مع ضور البطن ، واتصال الترائب ، وفي امتداد هذا الموج ، من بدايته في ارتقاع هرمى متدرج حتى ذلك السفح الاخاذ الذي ينهض منه نهدان كاعبان في صلابة العاج ، وفي نعومته ، ينتصبان في عرض الصدر العاجى ، كقمتين توامتين لجبل بينهما كهف ذو وادى سحيق ... » (ص 95) .

كما نأخذ مثالا لوصف المتعة الجنسية واللذة العارمة التي تصل الى حد الحيوانية : « وفي هاتك اللحظات الرهيبة وتلك الغادة بين يدي ملقاة على

صدرى عارية ، ما دريت كيف تجردت أنا الآخر من كل ملابسى ، ولا كيف نفضت عنها ثوبها الحريرى الداخلى ، ولا كيف أحطت بذراعى نصفها الاعلى جاعلا صدرها الناهد فوق صدرى الخصيب ، وكل المفاتن فى جسدينا متوازية بما فى ذلك الشفاه والعيون ...

لقد انمحت أمام ذلك السلطان العظيم من ذهنى كل القيم ، وكل المبادئ، وكل المثل العليا التى كانت تصطرع فى دماغى قبل سويعات من قدوم جميلة (ص III) .

فالعديد سبرى هنا تهيبجا للفرائز ودعوة صريحة الى الفتك بالعذارى والى الاستمتاع بهذه الملاذ المتنوعة ، خاصة أن أشخاص القصة قد أظهروا لنا حيلة عديدة فى اصطياذ الرجال للنساء كالادعاء بزيارة الاقارب والاولياء الصالحين ، كالادعاء بالتقدمية والتحضر (نهضت الأنسة سهلة من نومها غير متحرجة كثيرا مما وجدت عليها نفسها من تجرد كامل من ثياب ومن آثار بجسدها وافتضاض لبكارتها اذ علمت أن بقاء الفتاة على بكارتها الى سنن العشرين ببلادنا يفصح عن تخلف الفتاة وخلوها أو شذوذها وعدم اقبال الشبان عليها ... (ص 92) وكحضور الافراح والاعراس والحفلات ...

على أننى أذهب الى أن الكاتب قد رمى الى التوجيه والنقد الصريح الواقعى، اذ نجد بعض المشاهد السينمائية والتلفزية وبعض الصور فى المجلات تفوق هذا الوصف فى قدرتها على الاثارة لاغراض تجارية استغلالية أو تخديرية للشعوب المغلوبة على أمرها ، المقهورة داخليا وخارجيا .

فالفقرة الآتية الذكر تضع بوضوح مشكلة التحضر المتمثل لدى بعض أفراد المجتمع فى الحرية الجنسية والتحرر من كل التقاليد العربية الاسلامية فى طريقة الممارسة الجنسية . وما يدعم رأى هذا ايضا الكشف الجلى عن مخاطر الممارسة الجنسية بلا قيد ولا حد ولا تنظيم علمى أو اخلاقى أو قانونى (راجع الفقرة الرابعة من مقالنا هذا).

ويلاحظ فى هذا الصدد أن مجتمعنا يعتبر الزواج الحل الملائم الصحيح للمشكلة الجنسية . لكننا نجد المتزوجين غارقين فى متاهات الزنا ، كالتاجر

الشيخ الحاج (ص 67) و « كوسيلة الحنش » التي تكره زوجها الطاعن في السن ، فتلتذع مع « الحنش » في منزل العجوز « ثعلب » ونجدها تقول : « اني شريفة عفيفة ، ولكنني اعرف ان الحياة مرة واحدة ... اهلى يريدون ثوابا وانا اريد الحياة الدنيا » (ص 59) .

ان الجنس يمثل - حسب ما ورد في القصة - مشكلة اساسية ، ذلك انه يمس حاجة طبيعية في حياة الانسان . ومن هنا كانت الحاجة ماسة الى دراستها وتطافر الجهود للتخفيف منها ، وايجاد الحلول الملائمة لها حتى لا تكون مشكلة ولا تتولد عنها مشاكل قد تمس الفرد والاسرة والمجتمع . ولعل بعض الجهود قائمة الان في هذا السبيل ، تتمثل في اعمال الديوان القومي للتنظيم العائلي ، وفي حصص تلفزيونية تتناول الجنس بطريقة علمية ، وفي دعوة البعض الى ادخال « التربية الجنسية » ضمن برامج التدريس ، وفي تجربة التربية العمرانية في بعض المعاهد الثانوية . ولكن ، هل يكفي كل ذلك ؟ اليست القضية اعم واشمل ، تهتم التربية وموادها وطرقها ، في المنزل والشارع ، والمدرسة ، وكل الاماكن العمومية ؟ اليست المسؤولية جماعية تهتم الاولياء والمربين والمسؤولين وخاصة عن وسائل الاعلام ؟

على بالحاج قاسم

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

دار شعبان - 9 ماي 1979 -

في اعدادنا القادمة :

احمد التهامي بوطبة - المنجي الردادى - على جديد

كاظم معلية - عيسى فتوح - زهير العلاف - الخ ...

زواج غير شرعى

زحام .. ضجيج .. أناس كثيرون متجمعون حول .. !؟ لا أعرف حول ماذا
 ماذا حدث ؟ ما هناك ؟. أقصد الجمع أنظر حوالى .. أفتش عن طفل ، طفلة
 لأسأله عما يحدث .. أدخل فى الحشد ، أنظر لأتطلع ، أرى ، ويا هول ما
 رأيت ويا ليتنى لم أر ، بهت... تجمدت أطرافى!! أستغرب من الصدفة العجيبة
 وأتمزق من الألم ، وأنا أنظر الى هذا الرجل المبطح على الأرض والرجال ملتفون
 حوله فيفقدونه من اغماضه الطويلة شعرت .. وعيناي لم تفارقا وجهه الشاحب -
 بدوامة تلف رأسى. وأحسست بعضا سحرية تشير فى ماضيا قريبا اليما جدا..
 رأيت زوجى وهو يبكى! ويترجى منى أن لا أطلقه وأن لا أقتل نفسى :

ما هذا يا صبرية ؟ لماذا تريدن تخريب بيتنا ؟؟

- ليس بين أركان بيتنا سعادة .. كفانى صبيرا ، لقد انتظرت طويلا والآن
 يشئت ولم يعد ينفع الصبر .

- اصبرى ريثما تتحسن ماديائى واجمع من المال مبلغا ضخما أعالج به
 نفسى عند طبيب مختص فى الامراض التناسلية !!!

- ليس هو مرضا واحدا بل هى امراض !!!

ولكنك ستطلقيننى من أجل عجزى الجنسى فقط !!!

- ومن أجل مرضك بالاعصاب وغيابك عن وعيك فى كثير من الاحيان
 أيضا !!

- ولكن ساشقى ، ساشقى يا صبرية ، أرجوك لا تتسرعى !

- لا فائدة فى الإلحاح كثيرا .. لقد مر على معك أكثر من عامين والحال كما
 هو وأنا أريد أطفالا ، أطفالا كثيرين) .

وافقت من دوامتي عندما سمعت رجلا يقول : « خذوه ، خذوه الى منزله ، انه مريض هذا المسكين ، ويغنى عليه دائما ، حتى اثناء العمل وقد طلقته من أجل هذه الامراض »

فاحسست بالصفعة وبوقع الصدمة . وخيل الى ان كل من هنالك يعرفون هويتي ، وكأنهم يرمونني بالحدد يتطاير شراره من سهام أعينهم الملتهبة وشعرت بالدم يتدفق قطرات في عروقي تستجيب لها دقات قلبي الحزينة ، لان المائل بين أيديهم هو مفارقتي ، هو زوجي السابق ، هو دمي ... واجهشت بالبكاء . ثم تسارعت خطواتي نحو الطريق الطويل ، الشاق ، ، لم التفت . وفررت من هذا المكان حتى لا يناديني أحد . وبدا الندم يمزق قلبي وشعرت بالذنب وبوخز الضمير .. لكن كيف يمكن لي ان أبقى هكذا مع رجل ميت وهو في الحقيقة حي ! هكذا النفس وهكذا الانسان ، أنا في بالطبع. وتصورت نفسي زوجة جميلة سعيدة ... يحبنى زوجي وإذا بي في يوم من الايام أحرق ، فتفسد بشرتي ويطلقني زوجي فأخسر كل شيء ... لماذا لم أضح ؟ لماذا لم أبق مع هذا الرجل فأشاطره أمراضه وأحزانه ، وأعينه على الشفاء ، حتى يمن الله بالخير . ولعله يشفى من دائه فتتوقف المأساة ولكن كيف ؟ ... كيف ؟ ... لعلها خسارة لم أنتبه اليها ، الحياة لعبة بين الأوراق النقدية والأوراق النقدية سوق كاسدة أو رابحة . وهذا الزواج لعبة لم أضمن فيها الرهان الحقيقي لم تكن بضاعتي رائجة ... لكن قد فات الاوان !!

ها قد وصلت الى المنزل وانقطع الرحيل .. وصلت متعبة منهكة .. جلست على الاراية لاستريح قليلا . وبقيت انتظر دخول أمي لاروى لها ما رايت واذا بي استفيق على صوتها يناديني من أعماق البيت :

— انهضى يا صبرية الساعة الآن تشير الى الساعة والنصف صباحا ...

فأفقت من نومي مضطربة واستغربت من علاقة هذا الحلم المزعج بفتاة لا تزال في فترة الخطوبة . لكننى سرعان ما تذكرت الاشاعة التى تروج هذه الايام حول زوج ابنة الجبران

آسيا - ى

بنزرت

لن أتحوّل الى مسخ أبداً

(١) حرارة تموز هذا العام بالذات تذيب القار في الشارع . ثمة في الافق غيوم سخامية . ها أنذا ألج شقة ضيقة عبر ممر من الدرج . ها هي ابتسام بشعرها الاسود وعينيها السوداوين والوجه المثلث تتراقص أمامي . الشقة كثيبة جدا . كنا نشعر كأننا في عربة معلقة بسلك كهربائي على ارتفاع شاهق . أي خطأ نهوى الى القاع تماما ! نزلت من الشقة مساء . الصابونة المطهرة كانت حاجتي الليلة .

– عمى ناولنى صابونة مطهرة .

– لم يطلب منى أحد هذا الصابون منذ فترة .

البائع يغلف الصابونة بورق جريدة ما . أوقفت سيارة أجرة . انتبه أحدهم الى .. ركبت السيارة سريعا . ها أنذا مع غرباء ! كيف حدث ذلك ؟ كانت السيارة خالية ! هل أنا في سيارة أجرة حقا ؟ السائق يتعطف سريعا جدا نحو اليمين . السيارة ترتجج جدا صوت كصوت الجريش الناعم المطحون في طاحونة حديثة . صوت مرعب جدا .

– آه أيها الجبناء هذه وسيلة حقيرة للمقتل .

بقايا مهشمة تحت عجلات السيارة . جلّت عبر الزجاج المتناثر . شاب عرفته فورا . صديقي العظيم خالد . الطالب الجامعي الذي قطع دراسته من لندن كان ذلك قبل سنوات ثلاث .

قال : عدت الى الوطن . اشتقت لرائحة الماء والقصب .

كن يقظا جدا . دعوته لغلم العقب الحديدية . الآن أصبح الزحام شديدا . استغلت ذلك . مرقت سريعا .

(2) في التاسعة ليلا بدت المدينة ملوثة كعاهرة مصطبغة بالدم . دخلت اقرب سينما لاهتا . ثمة شابان ينظران الى الجيب المنتفخ . الهذا الحد تثير قطعة صابون حمراء الدهشة والترقب ؟ ثمة اعلان في مدخل السينما « يمنع الخروج قبل انتهاء العرض » تألفت مع الظلمة . المقاعد مملوءة . الناس كانوا

يهربون من الشارع للسينما كأنهم مذعورون يدخاون ماجا سريعا خوفا من غارة !

البطل يقبل فتاته التي تعارف عليها الآن . موسيقى صاخبة جدا . حوار بينهما :

- انت تشبهني جدا .

- أجل لنعرف سمفونية رائعة جدا .

- ليس الآن لدينا الكثير .

الفتاة في المطبخ . البطل يثرثر مع المدعويين في غرفة ضيقة معلقة في الهواء . في وراء مقعدى كان رجل يتبرم ويميل رأسه دائما وبجانبى كان ثمة رجال ينظرون الى بدل الفلم لقطات عديدة لم تجذبني . ها هو البطل يضغط يد الفتاة قويا . عيناها تنوهجان جدا .

(3) فقااعات الصابونة حمراء شفاقة . أغمض عينيها تماما . كيف يمكن لفتاة أن تفكر ما تفكر انت في نفس اللحظة . الشبه كبير بيننا . انا لا احترم اخي فهو سكير . متمجرف . فارغ . يضع حواجز بينى وبين الآخرين . لا يعطينا سوى اجرة المواصلات . هذا القمستان البالي البسبه منذ سنوات . يقيم الحفلات الليلية فى الشقة . عامل فى النهار . افسدى فى الليل . زوج اختى سمية يحاصرني أيضا .

(4) اليوم الخميس من شهر تموز التقينا بكازينو على نهر دجلة العراقى . السادسة مساء . اهدى اليك وردة البنفسج بمناسبة تخرجك من الثانوية . قالت ابتسام : لقد انتهيت البارحة جدا لهديتك . لم احضر البارحة الى الكازينو . اردت أن أعرف مدتى حبك لى . اى صياد ماهر ابتسام ؟

قالت : هذا لقاؤنا الثالث .

- لقاؤنا لا يخضع للترقيم .

- سحيق .

- التقينا كثيرا .

- أين .

- فى كل مكان .

- هل سمعت الاخبار ؟
 - ثمة براعم تتفتح .
 - أنت الماء ...
 - أصبحنا صديقين بالاضافة ...
 - نحن اكابر .
- ثمة عيون كثيرة ترقبنا ابتسام متوقدة جدا لذيفة كقطعة خبز سمر .
كانت الليلة مظلمة . الساعة التاسعة ليلا كنا نشكل فى سيرنا السريع
رقم (10) .

(5) - من أين تعرف ابتسام ؟

...

- لماذا اخترت صديقة من هذا النوع ؟
- وتجلس فى مقاهى مشبوهة ؟
- ماذا كنت تحمل فى جيبك ؟
- صابونة مطهرة .
- كذب . أوراق صفراء . ومسندس . أنت متهم .
- ومشهوره !

(6) فى غرف التحقيق . والتوقيف . المحاكمة الصورية . كانت التهمة
هى .. هى .

- استحضر ابتسام عندما تذكرتها فى الحمام والقاعات الحمراء .
- لا نقبل الشهادات السيكلوجية .
- ولكنكم لم تضبطوا شيئا أين الجرم ؟
- نحن على قناعة من الجرم ولذا وجهنا التهمة !
- ابتسام ، نفس العينين ، النظرة الملتهبة . لم تفارقنى لحظة فى كل مكان .
- لن اتحول الى مسخ أبدا .

نزار العراقي